

الإمام  
الدكتور عبد الحليم محمود



العارف بالله  
أبو الأئمة السبعة  
الدين الطيفي



دار المعارف



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ  
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

صدق الله العظيم

[يونس : الآية ٦٢]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## العلاقة بين الصوفية والسلفية

إذا أردنا تعريفاً دقيقاً للسلفية لا ينكره شخص من الأشخاص  
فيمكننا أن نقول :

إنها حب الله ، واتباع رسول الله ﷺ فيما أمر ، وفيما نهى ،  
والحب والاتباع مرتبطان ارتباطاً وثيقاً .  
فمن أحب الله ورسوله اتبع التوجيهات الإلهية التي تنزلت على  
لسان الرسول ﷺ .

ولهذا الارتباط يقول القرآن الكريم : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ  
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (١) .

وإذا نظرنا إلى السلف وجدنا الصحابة يتوافر فيهم حب الله  
ورسوله ، ويتوافر الاتباع .

وإذا نظرنا إلى الصوفية ابتداءً من الإمام الكبير الفضيل بن عياض  
أو الإمام الكبير إبراهيم بن أدهم فإننا نجد أنه يتوافر فيهم « الحب »  
« والاتباع » .

أما فيما يتعلق بالاتباع فإن الفضيل بن عياض درس السنة دراسة  
دقيقة - وكان من كبار المحدثين : ثقة ، حافظاً ، ثبتاً ؛ يثق فيه

---

(١) آل عمران : ٣١ .

كل هؤلاء الذين كتبوا الحديث من أمثال الإمام البخارى ، والإمام مسلم وغيرهما من المحدثين - وكان فى سلوكه صورة تحاول - ما استطاعت إلى ذلك سبيلا - أن تحاكي ، وأن تتابع ، وأن تتأسى ، وتقترن برسول الله ﷺ ، وما عرفته الدنيا فى يوم من الأيام ، متهاككا عليها ، وما جرى وراء مادة - وإنما شغلته العبادة والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى ، ونشر العلم الموضح عن أمور الدنيا والآخرة . وكان الجميع يحترمونه ، وكان ناصحا للأمراء ، والوزراء ، والملوك ، وكانوا يذهبون إلى بيته المتواضع ولا يذهب هو لأحد منهم . كذلك كان الأمر فيما يتعلق بالإمام الكبير إبراهيم بن أدهم ، وسواء أكنّا بصدد هذا أو ذاك فإنهما يتفقان على الخطوة الأولى عند الصوفية جميعا ، إنها الانتفاضة الصادقة العازمة التى اتجهت بهما إلى التوبة الصادقة التى تحت كل ما يمكن أن يكون من شهوات النفس ، وأهواء الشعور ، وبهذه الانتفاضة يتنقل الإنسان فى لحظة إلى القصد العازم فى الاتجاه إلى الله سبحانه وتعالى ، والفضيل بن عياض ، وإبراهيم بن أدهم ، هما من الأئمة الأول للتصوف .

وعلى نسقهما ونسق من شابههما من الأئمة الأول سار الصوفية الذين أتوا من بعد ، وهؤلاء الصوفية الذين أتوا من بعد كانوا - مثل جميع الصوفية - يمتازون بأمرين متلازمين فيهما .

أحدهما : العبادة : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِالْأَشْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١) .

(١) الذاریات : ١٧ ، ١٨ .

وكانوا : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾<sup>(١)</sup> .

أما الأمر الثاني : فهو العلم ، وإذا نظرنا إلى كتاب من كتب طبقات الصوفية مثل كتاب « السلمي » ، الذي وصل بالتأريخ بالصوفية إلى نهاية القرن الرابع الهجري تقريبًا ، فإننا نجد جميع من ذكرهم يتسمون بهاتين السمتين « العبادة » ، و« العلم » بعضهم كان من كبار المفكرين أمثال « سهل بن عبد الله التستري » . وبعضهم كان من العلماء الذين يجمعون بين التفسير والحديث والعربية ، أمثال الجنيد ، ولكنهم جميعًا كانوا يمتازون بصفتين « العلم » ، و« العبادة » .

وما كان يحملهم على العبادة إلا الحب .

وما كان يحملهم على « العلم » إلا الحب .

الحب لرسول الله ﷺ ، ونشر أثره ﷺ .

فالإمام « الجنيد » .

مثلاً كان يحضر درسه اللغويون من أجل اللغة .

والأدباء : من أجل الأسلوب .

والفقهاء من أجل الفقه .

والمتكلمون من أجل مسائل علم الكلام .

والحكماء : من أجل الدقة في تحرير المسائل .

---

(١) السجدة : ١٦ .

وكل هؤلاء كانوا من العلماء ، وكل منهم كان يستفيد من درسه  
فى موضوع تخصصه ، وحين يتحدثون عن دروس « الجنيذ » .  
يقولون كان يحضر درسه ثلاث مائة محبرة ، وذلك أن جميع  
من كانوا يحضرون درسه ، كانوا يكتبون ما يسمعون مما يتعلق  
بإنجاهاتهم .

وإنه ليسرنا فى هذا المجال أن نذكر أيضاً الحارث بن الأسد  
المحاسبي ، صاحب كتاب « الرعاية لحقوق الله » .

لقد كان شعاره « العلم » ، « والعبادة » ونزل إلى ميدان المجتمع  
فى قوة مبنية ، وموضحة ، وناقذة ، ومهاجمة ، واقفاً كالطود الراسخ  
فى وجه كل بدعة ، وفى كل انحراف بكتبه الكثيرة ورسائله المتعددة ،  
وكان شعاره دائماً « حب الله ورسوله ، واتباع الله ورسوله » .

أما فيما يتعلق بالصلة بين الصوفية ، وأهل السنة والجماعة ،  
فإن صاحب كتاب « التبصير فى الدين » وهو الإمام الإسفرايينى ،  
الإمام الكامل ، والفقيه الأصولى المفسر ، وهو معنى أشد عناية بالرد  
على كل من يخالف مذهب أهل السنة ، يذكر فى كتابه ما يمتاز  
به أهل السنة عن غيرهم من الخوارج ، والروافض ، والقدرية ،  
فيذكر أن سادس ما امتاز به أهل السنة هو : « علم التصوف »  
والإشارات ، وما لهم فيها من الدقائق والحقائق .

لم يكن قط لأحد من أهل البدعة فيه حظ بل كانوا محرومين  
مما فيه من الراحة ، والحلاوة ، والسكينة والطمأنينة ؛ ويستمر الإمام  
الإسفرايينى ، وهو من قمم أهل السنة فيقول :

وقد ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مشايخ الصوفية قريباً من ألف وجمع إشاراتهم ، وأحاديثهم ، ولم يوجد في جملتهم قط من ينسب إلى شيء من بدع القدرية ، والروافض ، والخوارج . ثم يقول هذه الكلمات الدقيقة الموزونة :

وكيف يتصور فيهم من هؤلاء ، وكلامهم يدور على التسليم ، والتفويض والتبري من النفس والتوحيد بالخلق والمشيئة .

وأهل البدع ينسبون الفعل والمشيئة والخلق ، والقدر إلى أنفسهم ، وذلك بمعزل عما في الدين ، وهو من رؤساء أهل السنة ، لا يخالف في ذلك مخالف من المؤرخين للفكر الإسلامي .

إلى أي حد يبلغ حرص الصوفية على الاتباع ؟ وما هي آثارهم في ذلك ؟ .

يقول أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه :  
« من دعا إلى الله تعالى بغير ما دعا به رسول الله ﷺ فهو بدعي » .  
ويقول أيضاً : « إذا لم يواظب الصوفي على حضور الصلوات الخمس في الجماعة فلا تبعاً به » .

ومن أجمل كلماته قوله : « ما ثمَّ كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنة » .

أما أبو يزيد البسطامي فإنه يقول في قوة حازمة ، ومنطق صادق :  
« لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرقى في الهواء فلا تغفروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة » .



والإمام « الجنيد » يقول : « الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ واتبع سنته ، ولزم طريقته » .  
وكان « الجنيد » لا يملُ الحديثَ عن « الحب » و « الاتباع » ،  
وكان يقول : « مَنْ لم يحفظ القرآن ، ولم يكتب الحديث لا يقتدى  
به فى هذا الأمر - أى أمر التصوف - لأن علمنا هذا مقيد بأصول  
الكتاب والسنة »

ومما يفضل الناس عنه ، ولا يتحدثون به ، لأنهم يجهلونه ، أن  
الإمام ابن تيمية يقدر تقديرًا عظيمًا الإمام عبد القادر الجيلانى ،  
ويتحدث عنه باحترام بالغ فى رسالة « العبودية » وكلما ذكره يقول :  
« قدس الله سره » ولالإمام « عبد القادر الجيلانى كتاب عميق فى  
التصوف اسمه « فتوح الغيب » وهذا الكتاب مطبوع ومتداول ،  
ويخصص الإمام ابن تيمية ما يقرب من مائة صحيفة لشرح بعض  
فقرات هذا الكتاب والإشادة بالإمام عبد القادر الجيلانى .

والإمام عبد القادر الجيلانى : هو التصوف كله ، من اعترف  
به فقد اعترف بالتصوف وهو يمثل مكانة الأستاذية بالنسبة لابن تيمية  
لأنه من أسانيد « ابن تيمية » فى الحديث ، وأسانيد المحدثين هى  
أستاذية لمن يتخذهم إسنادًا .

ومن ناحية أخرى فإن الإمام أحمد بن حنبل يشيد إشادة كبيرة  
« ببشر الحافى » ، وبشر الحافى من كبار أئمة التصوف ، وكان بينه  
وبين الإمام « ابن حنبل » صداقة متبادلة ، وتقدير متبادل ، ويقول  
الإمام أحمد بن حنبل للسيدة الكريمة أخت بشر الحافى :  
( من بينكم يفيض الورع ) .

وكلُّ هذا يدلُّ على أن أئمتنا - السابقين منهم واللاحقين -  
ما كانوا يفرِّقون بين السلفية والصوفيَّة ...

ومما هو معروف أن الإمام « أبو عبد الله الأنصارى الهروى »  
من كبار زعماء الخنابلة كان يقول :

« أنا حنبلى ما حييت وإن أمت ... فنصيحتى للناس أن يتحنبلوا »

كان من أئمة الصوفية ، ولإمام أبو عبد الله الأنصارى الهروى  
- الذى كانوا يسمُّونه شيخ الإسلام - كتاب من أشهر كتب التصوف  
اسمه « منازل السائرين » يسير بالإنسان فى مقامات الصوفية ، وفى  
أحوالهم ، من منزلة إلى منزلة حتى يصل به إلى القرب من الله سبحانه  
وتعالى ..

ولقد احتوى هذا الكتاب المختصر والموجز التصوف كاملاً ،  
مقامات وأحوالاً .

وجاء الإمام الكبير « ابن القيم » أكبر التابعين لمدرسة « ابن تيمية »  
فألف كتاباً ضخماً أسماه مدارج السالكين شرح فيه كتاب « الهروى »  
منازل السائرين والأصل والشرح أيضاً يعبران عن التصوف كاملاً  
يشيدان به ، ويحثان عليه ، ويبينان أنه هو السلفية الصادقة لأنه « الحبُّ  
والاتباع » .

لماذا يحاول من يتسبون إلى السلفية أن يجعلوا بينها وبين الصوفية  
فرقة واختلافاً ؟ .

نحب أن نقول فى غير إسراف أن ما يسمونه السلفية الآن هو  
فكرة ممسوخة لا تمثل السلفية فى قليل ، ولا فى كثير ، إنهم يتحدثون

عن فوقية ، وعن جهة ، ويتحدثون عن أمور لا يتحدث فيها السلف  
عليهم رضوان الله تعالى

وأيضاً يحب أن يقول : إنها أصبحت حرفة يحترفها قوم من أهل  
البيع المداي ، ولو لم تمسح ، و لو لم تصبح حرفة ، حدثت هذه  
المناقشات ، وما حدث هذا الحذل الذي هو سمة من سمات البعد  
عن السلفية في كتب ، وعلى صفحات الجرائد .

ويختتم الدكتور عبد الحليم محمود حديثه بقوله :

يكفى أن ترد على هؤلاء بكلمة قالها « الشيخ محمد عبده » الذي  
يتمسحون فيه كثيراً وهو بصدد الحديث عن الأولياء ، وعن حال  
القرب قال :

« أمّا أرباب أسفوس العالية وتعقور السامية من العرفاء ممن لم يدن  
مراتبهم من مراتب الأسياء ، ولكنهم رصبوا أن يكونوا هم أولياء ،  
وعلى شرعهم ، ودعوتهم أماء - فكثير منهم نال حطه من الأنس  
يقرب تلك الحال ( حال القرب ) في نوع أو الجنس ، هم مشارفهم  
في بعض أحوالهم على شيء من عالم الغيب وهم مشاهد صحيحة في  
عالم البشر لا تذكر عليهم لتحقيق حقائقها في الواقع فهم لذلك لا  
يستعدون شيئاً مما يحدث به عن الأنبياء صوات الله وسلامه عليهم  
ومن ذاق عرف ومن حُرِّم الخرف .

ودليل صحة ما يتحدثون به وعنه ظهور الأثر الصالح منهم ،  
وسلامة أعمالهم مما يحالف شرائع نبائهم وطهارة فطرتهم مما يكره  
العقل الصحيح أو يمحُّه الدوق النسل ، وانتفاعهم بإعت من الحق

لناطق في سرائرهم المتلأئ في بصائرهم إلى دعوة من يحف بهم  
إلى ما فيه خير العامة ، وترويح قلوب الخاصة »

هذا ما يقوله الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد ، إنه يقول  
بالحرف الواحد : « من داق عرف » .

أمّا هؤلاء الذين اتخذوا السلفية حرفة ، ولم يتدوخوا فإنهم لم يعرفوا .  
ويقول : « ومن حُرِّم المحرف » وهؤلاء قد حرموا فاحرفوا .  
ونرجو الله سبحانه وتعالى لهم الهداية .

وبعد : فإننا في هذا الكتاب نقدم شيخ الأهر ، شيخ الإسلام  
والمسلمين ، الشيخ محمد الحفي ، نقدمه مثلاً كريماً للصوفي الصافي ،  
واسلفي النقي ، مثلاً كريماً للحب والاتباع »

إننا نقدمه إماماً من أئمة الحب والاتباع يسير على سق أسلافه  
الحسين المتعين : « عبد القادر الجيلاني » ، الهروي ، ابن القيم  
وعشرات غيرهم ممن كان رائدهم الحب والاتباع .

وما من هدف لـ فيما نكتب عن التصوف إلا أن نبر الحقيقة  
في الوحدة بين مذهب الحب لمتبع ، ومذهب الاتباع المحب  
وإذا كانت بعض الصياع تركز دائماً على الاختلاف . تحترعه ،  
وتجسمه ، وتضخمه ، وتتخذ ديدناً وشعاراً

فإننا نركز دائماً على التوحيد ولوحدية ، ونرى أنه لا يتأتى مطبقاً  
الحب دون الاتباع .

وإنه مما لا مرية فيه بين المستنصرين أن الصوفية من أعلام الحين .

فهم إذن من أعلام المتعين ، وأن السلفية من أعلام المتعين ، فهم  
إذن من أعلام المحين .

والنتيجة هي أن ماندعو إليه ويدعو إليه كل محضر أن سير  
جميعًا في ظلال علم :

« الاتباع والحب »

هذا وبالله التوفيق<sup>(١)</sup> .

---

(١) إنها مقدمة وهي خاتمة أيضًا

## أبو الأنوار شمس الدين الحفنى

لشيخ شمس الدين محمد بن سالم الحفنى<sup>(١)</sup> رضى الله عنه :  
شيخ الأزهر ، وعم الإسلام الحقائق !  
لقد كان الشيخ شمس الدين الحفنى مصدر جاذبية عظمى فى  
عدة زوايا من شخصيته .

لقد كان حسن السمعة أيقناً :  
وكان فى حديثه نابعاً مالكا لزام التوجيه !  
وكان على علم غزير ، فى العلوم الكسبية ، فهو يحدث مع المحدثين ،  
ومنصقى مع علماء المطلق ، وفقهه مع الفقهاء !!  
وهو إمام على كل حال ، فى علوم الكتب التى تتصل بالدراسة  
فى الأزهر ؟

ومضى الحادية الكبرى فى الشيخ الحفنى كانت تتمثل : فى أنه  
شخصية تنجى بكل ما تستطيع إن الله ، م نفعه الدنيا ، وقد كانت  
عند قدميه ، ولم يفتنه منصب ، وقد أحل رأس المنصب لدية !

---

( ) فى كتاب الأعلام ( هامش ) يقول فى ترجمته لشيخ « أشهر صاحب الترجمة  
الحفنى والحفوى وكان يسمى بهما ، وعندى مخطوطة من رسالته فى أسماء أهل بدر يقول  
فى مقدمتها « فقير به الحفنى ، عبد مولاه محمد الحفنى » ومودح من حظه محمد بن  
سالم الحفوى فكلاهما صحيح

ويتحدث عنه الإمام « الدردير »<sup>(١)</sup> في رسم له هذه الصورة المشرفة

« لإمام انهيب الذي كانت الملوك تحضع لحسنه

السحى لدى شهد لأعداء بهمته وسعائه ، بحيث يفر كل إنسان  
بأن الملوك لا قدرة هم على أن يحدو كما كان يحدو !

الحسن الحق الذي كان كل من حالسه لا يشيع من وداده حتى  
لحسود !

الحميل ادى كان وجهه كالشمس ، في رابعة انهار ، حتى  
إن كل من رآه ذكر الله العزيز العمار !

الذي كانت العامة ، والخاصة يتركون برؤيته ، ويتسارعون لتقيل  
راحته !

احامع بين تحقيق العلوم الظاهرية ، والأسرار الإلهية !

المتكلم على الحواظر ، كما كان يشهده من سلك على يده السية ،  
يربى أصحابه باللحظ والدلالة ، وله يسهم مهابة لا توجد في كثير  
من الأبطال » ، كما قيل :

إذا ما سطا دع عك تذكر عتر إن جاد لا تذكر مكارم حاتم  
ولد رضى الله عنه ببلدة « حصا » وهي بلدة من محافظة الشرقية  
بمركز بلبيس . معمسة في حو حمين ؛ من انرارع الحصرء ،  
والحدائق العاء ، يشع في حوها تيار من الروحانية ، لما بها من  
كثير من الرجال الذين يتسبون إلى التصوف ، على أسلوب الطريقة

---

(١) أبو البركات الدردير ، سن أن كتباه عنه كتابا معصلا

الحلوتية ، والسنة إلى هذه البدة هي جفى ، وحصى ،  
وحصاوى ، وإليها ينتسب شيخنا .

نشأ الشيخ بهذه البدة من أسرة كريمة شريفة ، فقد كان الشيخ  
شريفًا حُسيبًا من جهة أم أبيه ، وهى السيدة « تُرك » ابنة السيد  
سالم بن محمد بن على بن عبد الكريم بن السيد برطع المدفون  
بـ « بركة الخاخ » .

وبتهى نسه إلى الإمام الحسين رضى الله عنه<sup>(١)</sup>  
وكان أبوه يقيم بالقاهرة . عندما كان الحصى فى طفولته .  
وبدأ الحصى فى تعلم القرآن فى كتاب البدة ، وكانت هذه  
الكتائب المشتهرة فى البلاد والقرى المصرية ، إنما هى مراكز تشع  
أنوار القرآن الكريم ، وتنفع معها أصواء الهدية وإصلاح والتقوى ،  
وليس مثل القرآن الكريم مؤثرًا فى المجتمع ، وفى الأمى ، تأثيرًا  
حسنًا يحبه الله ورسوله .

وليس مثل القرآن الكريم مؤثرًا فى إصلاح المجتمع ، وفى النهضة  
الاجتماعية من جميع رواياها ﴿ وَإِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ  
أَقْرَبُ ﴾<sup>(٢)</sup>

إن هذه لكتائب ، كانت تنشر - كالأبحاث البضرة ، تنعش  
بأسسيم الروحى ، يلصف القلوب ، وبالروح يمسسُ القاحل من الأفتدة  
فيحيلها إلى صورة ، يعبر الله تعالى عنها فيقول :

(١) الحصى الجزء الثانى ص ٢٥٧

(٢) الإسراء : ٩



﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَىٰ لِرَسُولٍ رَّوَىٰ عَنْهُمْ تَقِيصُ مِنَ الدَّمْعِ  
مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْ مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ (١) .

ويقول سبحانه :

﴿يُنَادُوا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ، وَإِذَا تُلِيَتْ  
عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا ، وَعَنَىٰ رَبُّهُمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٢) .

وقرأة القرآن ها ثوابها الحَمَمُ ، يقول رسول الله ﷺ .

« مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ فَلَهُ حَسَنَةٌ ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا »

أما يبي لا أقول : « أَلَمْ » حرف ، ولكن ألف حرف ، ولام  
حرف وميم حرف .

أما تعلم القرآن وتعليمه ، فيقول رسول الله ﷺ عن ذلك :  
« خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ » .

وهل قرأت هذا الحديث القد السيس الرائع ، الذي رواه الحاكم  
وقال عنه : صحيح الإسناد :

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال  
« مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ السُّوءَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُوحَىٰ  
إِلَيْهِ » .

« لا ينبغي لصاحب القرآن أن يجد مع من وحد (٣) ، ولا يجهل

(١) البقرة : ٨٣

(٢) الأنفال : ٢

(٣) يجد أى يحرم من الوجد وهو الحزن والهم ( لا يسمى أن يحزن مع من حزن )

مع من جهن ، وفي جوفه كلام الله » وإذا اجتمع قوم لقراءة القرآن ، سواء أكانوا كباراً ، أم صغاراً ، فإنه يصدق عليهم ما رواه الإمامان : مسلم ، وأبو داود ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وعشيتهم الرحمة وحقتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده » .

أما من شعله القرآن فإنه يبال سؤله دون سؤال ، عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

يقول الرب تبارك وتعالى : « من شغله القرآن عن مسألتى أعطته أفضل مما أعطى السائلين ، ونصل كلام الله على سائر الكلام كفصل الله على خلقه » (١) .

وهذان الحديثان التاليان ، أرحو أن يتدبرهما القارئ ، ويقف عندهما طويلاً ، إن كان يحب الخير لنفسه ولوالديه :

عن سهل بن معاذ عن أبيه رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ، وَعَمِلَ بِهِ ، أُلِيسَ وَالِدَاهُ تَاجًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، صَوْرُهُ أَحْسَنُ مِنْ ضَوْءِ شَمْسٍ فِي بَيْتِ الدُّنْيَا ، فَمَا طُكُم بِالْمَدَى عَمِلَ بِهَا » (٢) .

(١) رواه الترمذي قال حديث حسن غريب

(٢) رواه أبو داود ، وقال الحاكم صحيح الإسناد

وعن أبي هريرة رضى الله عنه . أن رسول الله ﷺ قال .  
« يحيى صاحب القرآن يوم القيمة . فيقول القرآن : يارب حله .  
فيلبس نأج الكرامة ، ثم يقول .

« يارب زده ، فيلبس حنة لكرامة ، ثم يقول يارب ارض عنه ،  
فيؤصى عنه ، فيقال له اقرأ وارق ، ويرداده لكل آية حسنة »<sup>(١)</sup>

في القرآن الكريم ؟ يقول الله تعالى ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى  
جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ حَاشِعًا مَّتَصَدِّعًا مِّنْ حَشِيَّةٍ لِلَّهِ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد سبق أن كتبنا تحت عنوان « وَبُيِّنَتْ لِكِتَابٍ غَرِيبٍ » ما على .  
يقول الله سبحانه عن ليلة نزول القرآن .

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُأَسَّاةٍ إِنَّا كُنَّا مُتَدَرِّسِينَ ، فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ  
حَكِيمٍ ، أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ، رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ﴾<sup>(٣)</sup>

وهذه الليلة المدركة هي ليلة القدر ، وعنها يقول الله سبحانه

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ  
حَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ  
أَمْرٍ ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾<sup>(٤)</sup>

(١) رواه الترمذي في سننه ، وابن خزيمة ، وإسحاق وقال صحيح الإسناد

(٢) الحشر ، من الآية : ٢١

(٣) الدخان من ٣٠ - ٦٠

(٤) سورة القدر

كيف حدث ذلك ؟

في أوائل كتاب السحاري - أصبح الكتب بعد كتاب الله سبحانه وصف كيفية نزول القرآن : عن عروة بن الربير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت :

« أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي ، الرؤيا الصالحة في النوم ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ؛ ثم حُبب إليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ( وهو التعبد ) ليلالي دوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتروّد ذلك ، ثم يرجع إلى حديبته فيترود لمثنها ، حتى يحاذي الخبر وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ !

قال : فأخذني فغطى حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ ! فأخذني فغطى الثانية حتى بلغ مني الجهد ، ثم أرسلني فقال : اقرأ ، فقلت : ما أنا بقارئ !

فأخذني فغطى الثالثة ، ثم أرسلني فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم ﴾ (١) وكما وصف الله سبحانه ليلة نزوله بأنها مباركة ، فإنه وصف القرآن نفسه بأنه مبارك .

﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر أولو الألباب ﴾ (٢)

(١) العلق من ١ ، ٣

(٢) من ٢٩

ولقد استقصى لقرآن الكريم في وصف القرآن ، وبدأ الحديث عن هذه الأوصاف بملاحظة يرجو القارئ أن يندبر معها .

إن الله سبحانه وتعالى يختم سورة « الشورى » بهذه الآيات الكريمة : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَشْرِئِكَ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ، أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا ، فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ، إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ، وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ ، وَلَا الْإِيمَانُ ، وَتَكُنْ جَعَلَهُ نُورًا يُهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْأَلَا بِإِلَهِ اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ (١) .

في هذه الآيات الكريمه يذكر الله سبحانه صفتين من صفاته تعالى : « إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ » ، وهو ، سبحانه ، على في الأرض ، وهو على في السماء ، وهو سبحانه أحكم الحكماء ، إنه على حكيم دون تشبيه أو تمثيل ، وبعد هذه الآيات الكريمة يبدأ القرآن مباشرة في سورة الزحرف ، والآيات الأولى منها :

﴿ حَمْدُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ، وَإِنَّهُ فِي أُمَّ لِكِتَابٍ لَدَيْنَا لَعَلَّ حَكِيمٍ ﴾ (٢) وفي هذه الآيات يصف سبحانه وتعالى القرآن بلوصفين اللذين وصف بهما نفسه ، ولكنه يريد شيئاً من التأكيد .

(١) الشورى . ٥١ ، ٥٣ .

(٢) الزحرف . من ١ ، ٤٤ .

إن القرآن عني . عن كل ما عداه من قول . إذا نظرت إليه من الناحية اللفظية ، وجدته في أعلى مستوى من مستويات البلاغة ، وفصل كلام الله عن سائر الكلام كفضل الله عن سائر البشر ، لقد أعجز البلاء في كل عصر وتجاههم في كل بيئة .

وإذا نظرت إليه من ناحية المعنى فإنك تجده

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾<sup>(١)</sup> .

لقد أتى الباطل على كتب الله السابقة حين عُرِيت وبدلت ، ولقد أثبت عدم تاريخ الأديان في أوربا وأمريكا هذا التعبير والتبديل بما لا محال للشك فيه !

لقد أثبتته مثلاً في فرنسا الأستاذ « شارل جيمير » في عدة كتب من مؤلفاته ، والأستاذ شارل نمة من قسم التحقيق العلمي ، وقد احتل أكبر المناصب العلمية في علم تاريخ الأديان في فرنسا ، وهو منصب رئيس قسم تاريخ الأديان في جامعة باريس ، وأثبتته الأستاذ « لودس » ، وهو من كبار أساتذة تاريخ الأديان في فرنسا أيضاً في عدة كتب من مؤلفاته ، وأثبتته غيرهما .

أما القرآن - فإن الأستاذ « ديسومين » وعشرات غيره من المستشرقين العربيين قد قالوا . إن القرآن الذي نقرأه الآن ، هو القرآن الذي أرسل على محمد ﷺ ، وصدق الله العظيم إذ يقول :  
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِطُونَ﴾<sup>(٢)</sup> .

(١) صحت : ٤٢ .

(٢) الحجر : ٩ .

وم يدخل عليه الباطل من جانب ابدائى ، وليس كان التعبير والتدبير  
 فى الكتب السابقة قد أفسد ابدائى التى أتت بها الأديان السابقة ،  
 فإن المادى التى رسمها القرآن هداية للإنسانية باقية على الدهر تعلق  
 عن مصدرها وأنها : ﴿ تَرْيَبُ مَنْ حَكِيمٌ حَمِيدٌ ﴾<sup>(١)</sup> ، وأى نظرة إلى هذه  
 المادى تثبت صدقها :

إنها فى التشريع تركز على العدالة

﴿وَلَا يَحْزِمَنَّكُمْ شَتَائُ قَوْمٍ عَلَىٰ الْإِحْسَانِ ، اَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ  
 لِلتَّقْوَىٰ﴾<sup>(٢)</sup> .

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ دِي الْقُرْبَىٰ ، وَيَنْهَىٰ عَنِ  
 الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> وفى الأخلاق  
 تركز على الرحمة :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> .

وفى العلاقات الاجتماعية تركز على الأخوة . ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ  
 إِخْوَةٌ﴾<sup>(٥)</sup> .

وفى العقائد تركز على الأساس الثابت للعدل والرحمة والأخوة ،

(١) فصلت ٤٢

(٢) المائدة ٨ .

(٣) النحل ٩٠ .

(٤) الأنبياء : ١٠٧

(٥) احزاب ١٠٠

وهو التوحيد ، وإلسان الموحّد حقاً هو الإنسان الذي أحب الإسلام أن يكون مثلاً للإنسانية أجمع .

وفي الآيات الكريمة التي نحن بصددّها وصف القرآن : بأنه نور من أسماء الله « النور » .

ويقول الله سبحانه ﴿ق ، وَأَنْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾<sup>(١)</sup> ، ويقول ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾<sup>(٢)</sup> ، ومن أسماء الله « المجيد » .

ومن أوصاف القرآن أنه عزيز ﴿وَهُوَ بَكِيتٌ عَزِيزٌ﴾<sup>(٣)</sup> ، ومن أسماء الله تعالى : « العزيز » .

وفي نهاية حديث عن هذه الأوصاف التي سُجِّلَتْ في القرآن واحدٌ ، نبي أن الله سبحانه وتعالى أقسم على وصف نبي بلقرآن : هو أنه كريم وهو يُصَفُّ وصف يعبر عن اسم من أسمائه سبحانه وتعالى :

﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ، وَأَنَّهُ لَقَدْ أُنْزِلَ لَوْ تَعْمَلُونَ عَظِيمٌ ، إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ، تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(٤)</sup> .

يقول صاحب « لطائف الإشارات » . ﴿يُؤْتِي الْقُرْآنَ كَرِيمًا﴾ وانكرم بهي الدناءة ، أي أنه غير محقوق . ويقال هو قرآن كريم ، لأنه

(١) ق : ١

(٢) البروج : ٢١ .

(٣) صافات : ٤١ .

(٤) الواقعة : من ٧٥ - ٨٠



من عند رب كريم على رسول كريم عن ناس ملك كريم : ﴿ في كتاب مكتون ﴾ يقال في النوح المحفوظ ، ويقال في المصاحف وهو محفوظ عن التبديل : ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴾ عن الأدناس والعيوب والمعصي ، وقال هو خير فيه معي الأمر ، أي لا يسمى أن يمس لمصحف إلا من كان متطهراً من الشرك ، وعن الأحداث ، ويقال لا يجد طعمه وبركه إلا من آمن به . ويقال : لا يقربه إلا الموحدون ، فاما الكفار فيكرهون سماعه فلا يقربوه ، وقرئ : ﴿ المطهرون ﴾ أي الذين يطهرون نفوسهم عن دنوب والحلق الدسيء ويقال . لا يمس حبره إلا من طهر من الشقاوة ، ويقال لا يفهم لطائفه إلا من طهر سره ، ويقال : المطهرون سرائرهم عن غيره ، ويقال إلا المحترمون له انقائسون بحقه ، ويقال . إلا من طهر بقاء السعادة ثم بقاء الرحمة .

ولقد تحدث الرسول ﷺ عن القرآن في استفاضة ، ومن عدة زوايا ، ويقتصر هنا على ذكر أربعة أحاديث :

١ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَقَدْ اسْتَدْرَجَ السُّوءَ بَيْنَ جَنْبَيْهِ ، عَمِيَ عَنْهُ لَا يُرْخَى إِلَيْهِ ، وَلَا يَسْعَى لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجِدَ مَعَ مَنْ وَجَدَ وَلَا يَحْطِلَ مَعَ مَنْ حَظَلَ وَفِي خَوْفِهِ كَلَامُ اللَّهِ » رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد .

٢ - عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال :

« إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادِبَةٌ اللَّهِ فَاقْبَلُوا مَادِبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ حَبْلُ اللَّهِ ، وَلُتُورِ الدِّينُ . وَانْشَاءُ السَّعِ ، عَصَمَتْهُ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ ، وَنَحَاةٌ لِمَنْ اتَّبَعَهُ ، لَا يَرِيعُ فَيَسْعَبُ ، وَلَا يَعُوحُ فَيَقُومُ ، وَلَا تَقْضِي عَمَائِهِ ، وَلَا يَحْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ ، اتَّبِعْهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرْكُمْ عَلَى تِلَاوَتِهِ ، كُلُّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، أَمَا بَنِي لَا أَقُولُ ( م ) حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلْفٌ حَرْفٌ ، وَلَا مَ حَرْفٌ ، وَمِيمٌ حَرْفٌ » رواه الحاكم وقول . هو صحيح

٣ - عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ .

« إِنَّ لِلَّهِ أَهْبِينَ مِنَ النَّاسِ - قَالُوا : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قال أَهْلُ الْقُرْآنِ هُمْ أَهْلُ اللَّهِ وَخَصَّتُهُ » رواه السائي وابن ماجه والحاكم . وقال المنذرى : إسناده صحيح .

٤ - عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إِنَّ لَدَى لَيْسَ هِيَ جَوْفُهُ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَأَنِّي سَمِعْتُ مَحْرَبٌ » رواه الحاكم وقال . صحيح الاسناد ، والترمذى وقال حسن صحيح

ولقد بهض القرآن بالأمة الإسلامية بهضة لا مثيل لها في التاريخ حينما طبقته تحت قيادة الرسول ﷺ ، وأخرجته عن وضع المطريات إلى الواقع المطلق في المجتمع ، ولقد كان مجتمعاً تبطل والتحف التوحيد .

وهذا المجتمع القرآني فعل الأعاجيب ، وفي ذلك يقول المستشرق دى برور .

« أفلح محمد ﷺ هو وحلفاؤه الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان

وعلى في أن بعثوا في نفوس أبناء الصحراء ، وفي نفوس من هم أكثر منهم تحضرًا من أهل البلاد الواقعة في الأطراف : روح الاتحاد في العمل ، وإلى هذا البعث الروحي يرجع الفصل ، في المكانة التي يتبوّاه الإسلام ، كدين عالمي ، ولقد صدق الله المسلمين وعده بالنصر ، وكأنما تأييده هم استجابة لدائهم عند لقاء الأعداء . « الله أكبر » وكأنما قد صعب رقعة الدنيا فطووها في فوحهم طيًا ، ولم يمض زمن صويل حتى فتحت بلاد لفرس كلها وانتزع العرب من الإمبراطورية الرومانية الشرقية أحسن ولايتين فيها : وهما اشنام ومصر .

إن هذا المستشرق يرى أن هذه الفتوحات التي كانت - لشر الخير والحق لا تفسر إلا بأحد أمرين :

إما أن تكون الكرة لأرضية قد صغرت في عهدهم ، فحاموها بهذه السرعة ، وإما أن الأرض كانت تصوى من تحت أرجلهم ، ولكنه الإيمان ، ولكنه مجتمع القرآن

ومجتمع القرآن يتسم بصفتين

الأولى : أنه مجتمع قوى .

الثانية : أنه مجتمع سعيد .

ودلك أن الله سبحانه وتعالى - قد رسم في القرآن طريق العزة بالله ، ورسم طريق السعادة فإذا طبق المجتمع المبادئ القرآنية في أي عصر من العصور ، فإنه يسعد ويهض

والأمة الإسلامية في العصر لحصر لاسين لهضها إلا إذا أسلمت

قيادها للقرآن الكريم ، تسمد منه انطريق إلى السعادة والقوة ، ولن يصح أمر هذه الأمة في عصر من عصورها إلا بما صلح به أولها وإن كبار علماء المسلمين على مرّ العصور يعلمون هذه الحقيقة ، إنهم يعلمون أنه لا نجا ولا إنقاذ للأمة الإسلامية إلا بالقرآن - فعكفوا عليه مهجرين وموضحين ومستتجين وداعين به إلى الله وهادين به إلى الحق فجزاهم الله أحسن ما يحزى العماء عن أمتهم .

وإن في فترة النهضة هذه من حياة أمتنا ، ندعو الله سبحانه أن يوفق الأمة الإسلامية للأحد بوسائل السعادة والقوة ، وندعو زعماء العالم الإسلامي إلى أن يكون القرآن الكريم أساس النهضة الاجتماعية حتى تكون الأمة الإسلامية قوية سعيدة . أ هـ

ونعود - بعد أن ذكرنا ما سبق بشره - فنقول :

كانت الكتابات متشرة في جميع أرجاء القطر المصري ، وكان ضوء القرآن يشع من كل مكان في القطر المصري ، وكان في القلوب تقوى وفي النفوس ورع ، وفي السلوك ستقامة ، وفي الناس وداعة . وذلك كله من آثار أضواء القرآن

والقرآن يفيد الإنسان مبادئ الدين ، ويفيده شعوراً ومعرفة بأسمى قواعد الأخلاق ، أما العقيدة ، فإنها العقيدة التي أحبها الله للأمة الإسلامية :

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، وَالْمَلَائِكَةُ وَأَوَّلُوا الْعِلْمِ﴾<sup>(١)</sup>

(١) آل عمران ١٨

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ : لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، فَاعْبُدُونِ﴾ (١) .

إنها عقيدة التوحيد الحاصل المطبق :

﴿قُلْ : هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ (٢) .

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ (٣) .

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَعَاطُنَ مِنْهُ وَتَشْتَقُ الْأَرْضُ وَنَخِرُّ النُّجُجَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ (٤) .

إنها عقيدة التوحيد في صفاتها ونقائها وبصرنها وسموها ونعاستها .  
أما التشريع فإنه :

﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَزْيِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (٥)

وإد تعلم الإنسان لقرآن أفاده أسلوبًا عربيًا ممتازًا ، وأدده معرفة

(١) الأبياء : ٢٥

(٢) سورة الإخلاص

(٣) الأبياء ٢٦

(٤) مريم ، الآيات من ٨٨ - ٩٣

(٥) فصلت ٤٢

باللغة العربية في مهرداتها وفي تراكيبها ، ولن نجد كاتباً عربياً ممتازاً  
أو أدبياً له أصالته إلا وكان السر في ذلك معرفته بالقرآن ، مهردات  
وتراكيب ، وما دخلت كلمات من القرآن في أسلوب كاتب إلا  
وأشرقت وأضعت على الأسلوب أثارة من البهاء

كاتب الكتائب نُؤدّي رسالة ضرورية للأمة الإسلامية . ديباً ،  
ولعة ، وأخلاقاً .

وأحداث هذه الكتائب تتناقص شيئاً فشيئاً إلى أن كادت تنتهي

وما من شك في أن أهل الخير ، في مصر وفي غيرها من بلاد  
العالم الإسلامي ، كثيرون ، ولعلهم لم يثنهوا فيما مضى إلى حصوت  
نور القرآن بتناقص الكتائب ، ونرجو أن يكون هذا تذكرة لهم  
للإسهام في فتح هذه الكتائب من حديد ، يتدرجون بها إلى أن  
تعم القطر المصري ، كما كانت ، وإن كل من يسهم في فتح أحد  
الكتائب ، فإن له الثواب الجزيل عند الله تعالى ، لأنه يسهم في  
نشر كلامه المبارك وفي توعية الناس بديهم ، وفي ريادة لشعور  
بالتقوى .

ومن الأمور المؤسفة أن كثيراً من أهل الخير أوقفوا أموالاً  
كثيرة على تعلم القرآن ، وعلى الكتائب واستولت ورارة الأوقاف  
على هذه الأوقاف ، وأكبتها ، ثم ترع في ذلك حرمة الوقف ،  
ولم ترع في ذلك حرمة القرآن ، وما زلت على مرّ السنين تأكلها .  
ولا تفكر في توريعها على الكتائب الموجودة ، ولا في إنشاء كتائب  
بها ، وقد ألفت رجال الورارة ذلك حتى وصل الأمر إلى أن ورراء

الأوقاف ، الذين يحثون خدمة القرآن ، لا يشعرون إلى هذه الأوقاف التي يستفيد منها المشرفون عليها . ولا يكتفون بالأكل منها ، وإنما يأكلونها . يؤكلونها لأتباعهم وعملائهم . وهم إنما يأكلون في بطونهم ناراً

ومن لأمر المؤسسة أيضاً أن ورادة التربية : لا تشعر بعائدة القرآن من أجل النعة . ولا تشعر بعائدة القرآن من أجل الأسلوب ، ولا تشعر بعائدة القرآن من أجل العقيدة ، ولا تشعر بعائدة القرآن من أجل الأخلاق ، ولا ولا . وكان الله جعل من بين أيديهم سدّاً ، ومن حتمهم سدّاً فأعشاهم فهم لا يصرون .

وعلى الرغم من أنه يتولى ورادة التربية من آخر ورير صالح فإن طاقته تستمر في تعمدة الأمر ، فلا تصح له ، ولا تير له الطريق ، ولو أسست ورارات التربية في العام الإسلامي لأفادت المجتمع الإسلامي عمداً وديماً ، وأخلاقاً ، وأسهمت يسهماً فعالاً في نشر الأمن والطمأنينة . على الأخص والأعراس والأموال ، وبرحو الله لها الهداية والتوفيق .

ويعود إلى الشيخ الحصى .

نقد تعلم القرآن في كتاب البلدة ، إلى سورة الشعراء ، وكان ولده كما قد مقيماً بالقاهرة ، فستقدمه إلى القاهرة ليكون تحت رعايته ، وأحد العلام في حفظ القرآن إلى أن استكماله . ثم أحد يسير في التعصيم على النهج المتبع . وكان في النهج المتبع كثير من الحكمه المسعته عن التحربه ، لقد

أثبت التحربة أن حير وسيلة لتعلم علم الأهر ، إنما هو البدء بحفظ المتون .

والمتون . هي كتب في كل فن محتصرة ، موجزة ، مركزة تركيزاً قوياً بحيث أصبح بعضها - من شدة التركيز وكأنه أَلغاز

هذه المتون تحفظ عن ظهر قلب ، وهي بطبيعة الحال صغيرة الحجم نسبياً ، وفي بعض الأحيان لاتعدو أن تكون ورقات قليلة .

وكانت الطريقة أن يكتب العلماء على المتون شروحاً توضحها وتشرحها مفصلة ما أحمل ، وموصحة ما استعلق ، ومبينة ما يشبه أن يكون - في المتون - إشارات ، وفي كثير من الأحيان يكتب العلماء حواشي على الشروح .

وكان حتى الواحد يكتب عية عدة شروح ، ولشرح الواحد تكتب عليه عدة من الحواشي ، ويجتهد جميع الباحثين في التمهيص والتحرير والوصول إلى العاية في الدقة .

كان الطلبة يحفظون المتون ، وكان المدرسون يدرسون الشروح ولا يفعلون الحواشي وحفظ فناء المتون ، لقد حفظ .

أَلِهِيَّة ابن مالك ، وهي حير متن في النحو والصرف . وعبيه شرح ممتاز هو شرح ابن عقيل .

وحفظ السُّلَم في أصول الفقه .

وَالْحَوَهرة في التوحيد .

وَالرُّحِيَّة .



وأب شجاع . في الفقه الشافعي وهو متن مشهور ما زال يدرس  
في الأزهر للآن ، وحفظ غير ذلك من المتون .

وكل ذلك قبل أن يبدأ الدراسة في الأزهر .

بعد حفظ المتون بدأ فتانا يدرس على أعلام العلم في الأزهر ،  
وكان الأزهر إذ ذاك . كما هو في كل عصر - يقوم على طائفة  
من أعلام العلماء اخلصوا وجوههم لله ، ثم للعلم ، ووطوا أنفسهم  
على أن يكونوا جنود الله يحفظون على لغة القرآن ، ويجتهدون أنفسهم  
من أحل بشر قواعد الدين الإسلامي ، مفسرين للقرآن ، شارحين  
للحديث ، مبينين مسائل الفقه .. موضحين للدين في جميع زواياه ،  
وكانوا - وما زالوا - يرقون المجتمع بعين يقظة ، حتى لا يحرف  
عن الحادة : يبدلون في ذلك كل ما يستطيعون .

وإذا كان الشيطان وأعوانه . وانفس وأهواؤها يفسدون جهدهم ،  
وإذا كان المحرفون في المجتمع يسعون في الأرض فسادا ، ويقفون  
في كثير من الأحيان عقبة في سبيل الهداة فإنه مما لا شك فيه  
أن لعلماء الأزهر دورهم الصالح في الإبقاء على الدين ، والبعة العربية ،  
ورسول الله ﷺ يقول :

« لَا تَرَأِ طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَصُرُّهُمْ مَنْ حَدَّثَهُمْ  
وَلَا مَنْ نَارَأَهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ » .

إن هذه الطائفة هم أهل الله من علماء الأزهر ومن سار على  
بهجهم في بلاد الإسلام .

وكانت الدراسة في الأهر : حرة طليقة ، تتناسب حقاً مع ما يجب للعلم ، من مكانة سامية .

كان الأستاذ يختار المادة ، والمستوى ، والكتاب ، والرمز ، وكان التلميذ يختار هو أيضاً ، المادة ، والمستوى ، والكتاب ، والرمز ، ويريد على ذلك أنه كان يختار الأستاذ الذي يرى أنه أكثر فائدة له .

وكانوا يبدؤون الدرس بعد صلاة الفجر مباشرة ، وقد أدركنا نحن شيئاً من ذلك ، فلقد كنا نحضر درس المرحوم العالم الكبير العارف بالله فضيلة الشيخ الدجوي ، في الرواق العباسي ، بعد صلاة الفجر ، وكان درساً في التفسير ، وكان درساً رائعاً حقاً ، وكان درساً يجمع بين الدراسة الكسبية والإلهامات الربانية ، وبه مما يؤسف له أنه لم يدور أحد هذه الدروس ولو دوست لأفادت علماً ، وأفادت درراً من الإلهامات .

دخل فتا الأهر يتلقى العلم عن أعلام الأهر نابهي فتعلم على الشيخ أحمد الخليفى .

والشيخ محمد الديري

والشيخ عبد الرؤوف الشيشي وغيرهم ، وغيرهم .

بيد أن الذي كان له أثر كبير في حياة فتا انعمية الكسبية ، إنما هو الشيخ محمد الديري الدمياطي ، الشهير بابن لميت<sup>(١)</sup>

---

(١) انظر الجرنى ج ٢ ص ٢٥٨

لقد أخذ عنه تفسير القرآن الكريم ، والقرآن هداية ، يرسم للإنسانية الإنسانية جمعاء - عقيدتها ، ويبين لها أخلاقها - أسمى ما تكون الأخلاق وأصفها - ويعيد العربي لغة ، ويفيده أسلوباً أبغ وأفصح ، ما يكون الأسلوب : إنه الأسلوب الإلهي في روعته وجماله وإشراقه ؛ وتعلمد عليه في الحديث ، والحديث مبین للقرآن الكريم

﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ لَدُكْرٍ يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(١)</sup> .

وقد بينه رسول الله ﷺ بقوله ، وبينه بحاله ، وبينه بسلوكه ؛ ولقد كانت أقوال رسول الله ﷺ وأحواله وأعماله . أصواء قرآنية وأنواراً ربانية ، ولم تكن دراسته مع شيوخه للحديث دراسة موجزة ، وإنما كانت مستفيضة جداً ؛ لقد درس عليه :

١ - صحيح البخاري ، ورصى الله عن إمامنا البخاري ، وبصر الله وجهه ، حزاء ما بذله من جهد ، ووقت في جمع الصحيح الثابت ، من كلام رسول الله ﷺ ، وإنما لا يستطيع أن يوفى الإمام البخاري حقه من الثناء والمدح على قيامه بما قام به ، من خدمة أسيمة ، ولا يملك إلا أن يدعو الله تعالى أن يحشره مع من رضى عنهم من النبيين والصديقين .

ومح حيسا يذكر الإمام البخاري ، إمام المحدثين وشيوخهم في كل عصر ، لا يفوتنا أن نذكر أن بعض المفتونين المعرورين بأنفسهم وبأهوائهم حاولوا في العصر الحاضر أن يبالوا من الإمام البخاري ، وقد ذكر ذلك لأحد شيوخنا الأفاضل فقال :

(١) النحل : ٤٤

إن الحافس إذا سولت لها نفسها أن تنال من الأسود ، فإن ذلك لا يخرجها عن نوعية الحافس ، وعن أنها حافس ، وسوف لا تشعر الأسود بها ، وإذا شعرت الأسود بها ، فإنها تنقسم في سرية واردة ويدكرن موقف الدين يبالغون من الإمام البخاري حادم السنة ، وشيخ المحدثين بقول الله تعالى .

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ، وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾<sup>(١)</sup> .

وبقوله تعالى :

﴿فَمَنْ زَمَّ لَهٗ سَوْءَ عَمَلٍ فَرَآهُ حَسِبًا ، فَإِنِ اللَّهُ يُصِلْهُ مِنْ يَشَاءَ وَيَهْدِي مِنْ يَشَاءَ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَنْهُمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْعَوْنَ﴾<sup>(٢)</sup> .

٢ - ودرس فتاها الحفي صحيح مسلم ، ولقد قام الإمام مسلم في خدمة السنة بمثل ما قام به الإمام البخاري . ولكل منهما منهجه وطريقته ، ورجو الله للإمام مسلم ما رجواهُ للإمام البخاري . أن يحشره مع من رضى عنهم من السنين والصديقين ودرس فتاها في مجال السنة أيضًا :

٣ - سنن أبي داود .

٤ - وسنن النسائي .

٥ - وسنن ابن ماجه .

(١) الفرقان ، آية ٣١

(٢) طاطر ، آية ٨

- ٦ - ودرس الموطأ للإمام مالك .
- ٧ - ومسند الإمام الشافعي .
- ٨ - ومعجم الطبراني . الأكبر ، والأوسط ، والصغير .
- ٩ - ودرس صحيح ابن حبان .
- ١٠ - ودرس : المستدرک للنيسابوري .
- درس . كل هذه الكتب في السنة .

وقد كان الأهر في أيام فتان معيًّا بالسنة كل العناية لا يدرسها في مختصرات ، أو موجزات ، أو مختارات ، وإنما يدرسها هي الأمهات الأصيلة .

إن السنة . دعوة باحسنى إلى الرقى الأخلاقي لدى تحرى رراءه لإسانية لمهدية ، بها دعوة إلى التاجر أن يكون صادقاً ، فيحشر مع السنين والصديقين والشهداء .

وإلى العمل أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه .

وإلى الصانع أن يؤدي العمل كما يحب ، حيث أحد الآخر . ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل

وهي دعوة إلى لأب ، باعتباره أباً ، وإلى الأم في رصعها كأم . وإلى الأخ في مهمته كأخ ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع : أن يرعى كل مهم ما وكل إليه من أمر رعيته ، لأنه مسئول عن رعيته ، وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته

وهي دعوة بناس إلى الأمانة ، حيث أنه « لا إيمان لمن لا أمانة

له « . وإلى الصديق ، « وأن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً » وإلى رحمه . رحمه العامة الشامة ، وصلوات الله وسلامه على من قال : « إنما أنا رحمة مهداة » .

ومن قال : « ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » ؟  
وخذ أى خلق كريم تنمى أن يسير عليه المجتمع . فستجد في السنة دعوة إليه ، بوسلة وبأخرى ، وثالثة .

وهي في هذه الدعوة تبه دائماً إلى دور لأمة إسلامية في الأخلاق العالية : إن دورها : إنما هو دور لرائد الداعية وعلى الرائد دائماً أن يكون المثل الأعلى . والأسوة الكريمة ، والقذوة الصالحة

ولقد كان رسول الله ﷺ : الصورة الحية الناطقة التي طبقت - كمبادئ إنسانية ممكنة - المثل الذي رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء . والذي عبرت عنه السنة أجمل تعبير وأبلغه .

ومن أجل هذا التقدير الكريم بسنة الشريفة كان العلماء المستنيرون في كل عصر . يجاهدون من أجلها ، ومن أجل مكارم الأخلاق التي نعبّر عنها . وكان هؤلاء العلماء علماء السنة يعرفون بسماهم . فقد كانوا من الرهد في حطام الدنيا . بحيث لا يبايعون الناس في دنياهم .

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس المثل الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن لسلطان

بمن بيده السطان يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء . مالك الملك  
ذو الجلال والإكرام .

وكانوا صادقين ، لقد كان الصدق ديدنهم وفطرتهم  
وكانوا صابرين على الحياه ، وصابرين على العمل . بعد أقاموا  
بهارهم . وأسهروا ليلهم ، عملاً على مرضاة الله ورسوله ﷺ  
والمثل الذي نحب أن نسوقه - كصورة هؤلاء القوم هو .  
الإمام أحمد بن حنبل ، رضى الله عنه . إنه الحدث الذي حاول  
أن يكون صورة صادقة لما كان عليه الرسول ، ﷺ في لراوية  
الأحلافية :

وسيرة الإمام ، رضوان الله عليه . مثل أعلى في التمسك بما يراه  
حقاً ، وفي الصبر على ما يناله في سبيل التمسك بالحق  
على أن كل من شمع بالسنة حقاً . إنما هو صورة ، قرية بقدر  
المستطاع ، من الإمام أحمد .

ولقد كان الإمام البخاري وغيره ممن أشربت نفوسهم حب السنة .  
أمثلة كريمة للخلق الكريم

والأمثلة الكريمة للخلق الكريم هي دائماً هدف لسهام المادح  
لأئمة التي استهوها الشيطان في قليل أو في كثير : إنه النزاع  
الدائم بين الفصيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لنزعات الهوى والصلال  
ولولا وجود هذه المثل العليا مكارم الأخلاق في كل عصر لفقدت  
الإنسانية الثقة بنفسها . ولما اطمأن إنسان لإنسان ، وما وثق شخص  
بآخر .

لقد ربت السنة رجالاً ، وحصائصها التي ربت بها الرجال ما تراه موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها ، ولقد شاهدت الإنسانية واعترفت سمو هؤلاء الرجال ، وأوتتهم ثقتها وتقديرها .

إن الإمام أحمد بن حنبل ، وإن الإمام البخاري ، وإن أمير المؤمنين في الحديث : الإمام سفيان الثوري ، وأمثال هؤلاء ، رضى الله عنهم . مارات يهتدى بهم عشاق المثل العليا الأخلاقية .

لا بد إذن من العمل على نشر السنة وإداعتها ، ومحاولة الإكثار من النفوس التي تتشربها وتحققها وتمثلها وتحياها

لا بد من نشرها : وطنية

ولا بد من نشرها : إنسانية ، لأنها تعبر عن أرقى مستوى إنساني .

ولا بد من نشرها : دينياً .

ولا بد من نشرها : ذوقاً أدبياً .

ولا بد من نشرها : للثروة الغيرية

وما من شك في أن السنة جواً فكرياً . فالرسول ، ﷺ ، يتحدث

عن إصلاح المجتمع ، وعن عوامل الهدم ، التي تعمل على تقويضه ،

وعن عوامل البناء التي تعمل على إقامته على قواعد سليمة ، ويتحدث

عن النظم التي يسعى أن تسود المجتمع الإسلامي ، وعن الأوضاع

التي يجب أن تستقيم .

وللسنة جو لغوي : فالرسول ، ﷺ ، قد أوتى حوامع الكلم ،

وكلامه ، ﷺ : أبلغ الكلام الشري ، وبشر السنة عامل من أهم

العوامل على ترقية اللغة التي يكتب بها الكتاب ، ومن أهم العوامل



على وضع الناشئين والمثقفين في وضع أدبي ممتاز ، من حيث اللغة ،  
ومن حيث الأسلوب .

وللسنة جو روحى : إنها تهذيب للنفس ، وتربية للروح وسمو  
بالأخلاق إلى درجة لاتجارى ، وصلى الله وسلم على من قال .  
« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

ورحم الله شوقى إذ يقول :

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومن أجل ذلك كله كان شر السنة واجباً دينياً ، وعملاً اجتماعياً  
كريمياً ، وواجباً وطنياً حتمياً وإصلاحاً أخلاقياً سامياً .

وهو على كل حال ضرورة وصية ملحة فى عصر تحاول لرديلة  
فيه أن تعمم الانحلال الحلقى فى كل أسرة ، وفى كل بيت ، ويحاول  
الفساد أن يأتى على مقدسات الأمة ومقوماتها : من عرض وشرف  
وكرامة .

لقد أحب الله للإنسانية مثالا أخلاقياً كريماً رسمه سبحانه فى  
القرآن الكريم قولاً ، فكان الرسول ﷺ الصورة التطبيقية الكاملة  
للرسم الإلهى ، وكان بذلك الإنسان الكامل .

لقد كان مثل الأعلى فى الرحمة ، والمثل الأعلى فى الكفاح ،  
والمثل الأعلى فى الصبر الجهاد المتفانى ، والمثل الأعلى فى الصدق  
وفى الإخلاص وفى الوفاء ، وفى البر وفى الكرم .

ولقد وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله :

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ حُلُقٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(١)</sup> .

ولا ريب في أن الأمة الإسلامية حينما تقتدى بالرسول ﷺ إنما تقتدى بأعظم البشر رحمة وإنسانية .

وتقتدى بمن أحب الله سبحانه أن تقتدى به :

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ

وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾<sup>(٢)</sup> .

وإن العمل على بشر السيرة إنما هو توحيه للاقتداء بالرسول ﷺ

وإذا كانت السيرة تحتل هذه المكانة الضخمة ، في مهج دراسة الأهر ، فإن مادة أخرى هي عاية النعاسة كانت تحتل أيضًا مكانة لا بأس بها وهذا من الطرافة ، ومن احكمة بمكان - تلك هي مادة التصوف .

مادة التصوف : موضوعًا أخلاقيًا ، ومادة التصوف مهجًا سيوكيًا ، ومادة التصوف : تزكية نفسية ، وكذلك أيضًا مادة التصوف رجالاً أخلصوا دينهم لله !

والتصوف له كنه كموضوع وهي كثيرة كثرة مرصية وله رجاله كشخصيات ، أخلصوا وجوههم لله تعالى ، وأصبحوا مثلاً كريمة في العلم وفي تزكية القلوب .

وكان الأستاذ في الأهر يحتار - إذا شاء - كتابًا في الموضوع .

(١) سورة القلم . ٤

(٢) سورة الأحزاب . ٢١

أو يختار - إذا شاء - كتاباً عن الشخصيات ، أو يختار كتابين أحدهما عن الموضوع والآخر عن الشخصيات .

ولقد اختار الشيخ محمد البديري كتابين : أحدهما في الموضوع ، والآخر في الشخصيات وهما من أنفس ما كتب في الموضوع والشخصيات إن لم يكونا أنفسها .

أما الكتاب الخاص بالموضوع فهو كتاب :

إحياء علوم الدين لحجة الإسلام الإمام الغزالي .

ودرس فتانا في انتباه ، وفي متعة روحية ، وفي تقدير كبير ، كتاب الإحياء على الشيخ محمد البديري وكتاب الإحياء أهم كتب الإمام الغزالي . ولقد قل فيه الإمام لنوى :

« كاد الإحياء يكون قرآناً »

وقد ألهه الإمام « الغزالي » في لفترة التي اعتزل فيها الناس متعلداً ، وما يؤيد ذلك ، ما رواه الإمام « أبو بكر بن العربي » في كتاب « القواصم والعواصم » من أنه التقى بالإمام بمدرسة السلام ، في جمادى الآخرة ، سنة تسعين وأربعمائة ، وكان قد راض نفسه بالطريقة الصوفية ، من ستة ست وثمانين إلى ذلك الوقت نحواً من خمسة أعوام .. فقرأت عليه جملة من كتبه ، وسمعت كتابه الذي سماه : « الإحياء لعلوم الدين » .

أما فيما يتعلق بالبواحد التي من أجلها ألف الإمام . « كتاب الإحياء »

وأما فيما يتعلق بهدف الذي من أجله ألف كتاب « الإحياء » .

وأما فيما يتعلق بحوهر موضوعه ، فإن ذلك كله يتلخص في كلمة واحدة هي : الإخلاص .

ولقد روى « ابن الجوزي » أن بعض أصحاب « أبي حامد » سأله قبيل الموت قائلاً :

« أوصني؟ فقال له عليك بالإخلاص ، ولم يزل يكررها حتى الموت . عليك بالإخلاص ؟ !! لقد تلفت « أبو حامد » يوماً إلى نفسه ، فوجد أنه متجرد من الإخلاص ، وأن كل همه ، إنما هو الشهرة ، والنصيب ، والجاه ، والمترلة عند الناس ، وعبد الحكام ... وانتقص « أبو حامد » انتفاضته التي رصع بها نفسه في محيط الإخلاص . وتلفت « أبو حامد » - بعد ذلك فيما حوله ، فوجد أن الدس صم ، بكم ، عني ، عن قوله تعالى : ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾<sup>(١)</sup> .

وعن قوله تعالى : ﴿وَمَا أَمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾<sup>(٣)</sup> .

وغبر ذلك من الآيات الكثيرة التي تدعو إلى الإخلاص في الدين ، وإلى إخلاص الدين لله وحده ، وهي في دعوتها إلى الإخلاص إنما تدعو إلى : « التوحيد » !

---

(١) الزمر ٢

(٢) البقرة ٥

(٣) عاقر ١٤

ووجد أن الشيطان قد سحود على أكثر الناس ، واستغواهم  
الطغيان وأصبح الدين في نظر بعض علمائه ، فضلاً عن غيرهم -  
فتوى حكومية ، أو جدلاً للمباهاة والعدة والإفحام و سحفاً مزحرفاً ،  
يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام .

لما رأى « أبو حامد » ذلك ، ألف كتابه الميسر .

وَألف ليستعيد الإخلاص إلى القلوب ، ليستعيد مآد رح عبيه السيف  
الصالح : من اتخاذ الإخلاص أساساً ، وشعاراً ، وما من شك في  
أن إخلاص الدين لله وحده ، هو التوحيد ، وما من شك في أن  
التوحيد : هو جوهر الدين الإسلامي ، وهو طابعه ، وهو هدفه ،  
وعايته .

وَألف الإمام كتابه إادل ، ليعين فيه الإخلاص : أسساً ، ونائج ،  
وأسباباً وعَايات ورتب الكتاب أقساماً ، والأقسام كُتباً ، والكتب  
أبواباً ، والأبواب فقرات . كل ذلك ليسهل تناوله

فأم أقسام الكتاب فهي أربعة :

١ - قسم العبادات يذكر فيه من حفايا آدابها ، ودقائق سنتها ،  
وأسرار معانيها . كل ما يحتاج العالم العامل إلى معرفته . من وجوه  
الإخلاص فيها ، وإفادتها على الأسس التي يحبها الله سبحانه ،  
ورسوله ، ﷺ .

٢ - قسم العادات . يذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين  
الخلق ، وأحوالها ودقائق سنتها ، ورحايا انورع في مجاريها ، وذلك  
بما لا يستعنى عنه متدين .

٣ قسم المهلكات - وهي الأحلاق المدمومة ، التي ورد القرآن بتطهير القلب منها يُعرفُ بها ، ويذكر أسبابها ، وما يشأ عنها من مضار ، ثم يذكر طرف العلاج بها .

٤ - قسم المحيات : يذكر فيه كل خلق محمود ، ويشرح الوسائل التي بها يكتسب ، والثمار التي تجني من استحقاق به .

وهو في كل هذه الأنسام : يتبدى كل موضوع يعالجه بذكر الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية والآثار عن اصحابه والتابعين ، وأخبار الصالحين

أما عن تقدير هذا الكتاب ، فإن الإمام الحافظ العراقي يقول : « به من أجل كتب الإسلام في معرفة الحلال والحرام ، جمع فيه بين ظواهر الأحكام ، وبرز إلى سرائر دقت عن الأفهام ، لم يقتصر فيه على مجرد لفروع والمسائل ، ولم يتجر في الدقة ، بحيث يتعدى الرجوع إلى الساحل ، بل مرج فيه عنى الظاهر والباطن ، ومرح معانيهما في أحسن امواطن وسبك فيه نفاثس ، انقط وصبطه ، وسبك فيه من النمط أوسطه ، مقتدياً بقول « على » كرم الله وجهه « خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم اتان ، ويرجع إليهم الغلى » .

وقال « الزبيدي » شارح « الأحياء » : « وأنا لا أعرف له نظيراً في الكتب التي صنفتها الفقهاء لجامعون في تصانيفهم بين القس ، والنظر ، والمكر ، والأثر »  
وقال « ابن السككي » .

« وهو من الكتب التي ينبغي للمسلمين الاعتناء بها ، وإشاعتها ،  
ليتهنى بها كثير من الخلق ، ومن ينظر فيه لا يتعظ به في  
الحال » .

وقال الشيخ « عبد انقادر العيدروس » في كتاب « تعريف الأحياء  
بفضائل الإحياء » .

اعلم أن فضائل « الإحياء » لا تحصى ، بل كل فصيلة له باعتبار  
حيثياتها لا تستقصى .

وكان « عبد الله العيدروس » رضى الله عنه يكاد يحفظه ، وروى  
عنه أنه قال : مكثت أطالع كتاب « الإحياء » كل فصل وحرف  
منه . وأعوذه ، وأتدبره ، فيظهر لي منه في كل يوم علوم ، وأسرار  
عظيمة ومفاهيم عزيزة ، غير التي قد علمت ؛ ولم يسبقه أحد ، ولم  
يلحقه أحد » ومن كلامه :

« عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب والسنة : أعنى اشريعة  
المشروحة في الكتب العزالية ، خصوصاً كتاب ذكر الموت ، وكتاب  
الفقر والرهق ، وكتاب التوبة ، وكتاب رياضة النفس » وقد أكرم  
الشيخ « عبد الله العيدروس » أخاه قراءة الإحياء ، فقرأه عليه مدة  
حياته خمسين وعشرين مرة !

ويحتم هذه التقديرات برأى أعتقد أنه فيصل الحق في موضوع  
« كتاب الإحياء » وهو رأى فصيلة الإمام الجليل الأستاذ الأكرم الشيخ  
( محمد الحضر حسين ) شيخ الأهرم السابق ، وهو عالم لا يتهم

بعضية ، والآراء مجمعة على أنه من العلماء الذين حاولوا جاهدين أن يكون كل ما يصدر عنهم إنما يراد به وجه الله ، يقول .

ورداً وجد العلماء في كتاب الإحياء ما حد معدودة ، فإنه من صعب بشر غير معصوم من الزلل ، وكفى بكتاب الإحياء فصلاً وسموً مزية ، أن تكون درر موائده فوق ما يتناولها العد ، وأن يطهر منه طلاب العلم ، وعشاق الفصيلة بما لا يطفرون به من كتاب غيره :

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾<sup>(١)</sup> .

ودرس فتانا ( الشيخ الحفي ) على الشيخ نفسه كتاب :

« حلية الأولياء » لأبي نعيم الأصفهاني

وابو نعيم محدث معروف ، وكتابه هذا أوسع المراجع فيما يتعلق بالشخصيات إلى نهاية القرن الرابع الهجري تقريباً ، ويقع في عشرة أجزاء كبار .

وقد بدأه بالصحابة رضوان الله عليهم مبتدئاً بالصديق رضى الله عنه وذكر فيه كبار المحدثين الصوفية وأئمة مذاهب الفقه ، ورضى الله عن أبي نعيم ، فقد أرمى التاريخ ، وأرضى الأرواح ، وكتابه من العوامل المؤثرة لتزكية النفس .

درس فتانا هذه الكتب ، واستكمل دراسة العلوم التقليدية من الفقه والأصول والمنطق وغيرها مما كان يدرس في الأهرار

---

(١) البقرة ٢٦٩



وظهر بوعه في سن مبكرة ، فقد كان محدثاً مجتهداً بعيداً كل البعد عن توافه الأمور ، وعن اللغو ، وعن إصاعة الوقت فيما لا يجرى وكان مكثراً على الكتب ، ملارماً لأشيأه ، كل وقته استفادة إما عن طريق المطالعة ، وإما عن طريق السماع من أشياحه .  
وقدره أشياحه نقديراً كبيراً وهو مارال بعد في بواكير شبابه .  
فأجاروه بالإفتاء والتدريس وهو لم يتجاوز بعد الثالثة والعشرين من عمره المبارك .

عندما انتهى الشيخ الحفي من الدراسة تلميذاً ، واستأنف حياة الدراسة أستاذاً بدأ يشعر بوطأة الحياة المادية :

فلم يكن الشيخ وارثاً ثرياً عريضاً ، ولم يكن تاجراً عنياً ، وإنما كان طالب علم أثناء أن كان يتعلم . وكان طالب علم أيضاً أثناء أن كان يُدرّس ، وكان العلم والعبادة جوهر حياته ، وهو وإن كان قد تدخل فيما كان يحدث بين الحكام إذ ذاك ، أو فيما كان يحدث بين الحكام والشعب ، فإنه ما كان يدخل دحول السياسى المخرف ، وإنما كان يدخل دحول الأب النصيح المرشد ، كان يدخل من قمة التوجيه والإرشاد ، كان يدخل قرآنياً عمدياً . وهو بهذه الصفة كان محلصاً :  
لم تكن عنده شهوة الحكم : هذه الشهوة التى تقسد على المصححين كل شىء ، التى لا تأتى إلا بتيحة حتمية ؛ هى الصراع بين المصلح وبين المجتمع أيضاً . من ييدهم زمام الحكم ؛ ومن وراء ذلك يحدث

الاصطراب فى المجتمع وتسيل الدماء ، ويكون الزوال على الطرفين وعلى المجتمع أيضاً .

والشيطان دائماً يدخل على المصلحين ، ومن راية أنه لا طريق للإصلاح إلا بتولى أمر الحكم ، وتنبذ الإصلاح بالقوة وبالقانون ، وذلك حداد ينتهى بتدمير الحاكمين والمصلحين والمحكومين ؛ وأحياناً يدس الشيطان على المصلحين بأنهم يقومون لله فى وجه لطعة والطلعة ، ولو أحلصوا وجوههم حقيقة لله لأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر دون أن يكون من وراء ذلك شهوة الحكم ، ودا فعلوا ذلك كان تأثيرهم فى المجتمع كبيراً ، وكان الحكام أنفسهم من حير الأعوان لهم ، وينتهى بهم أمر الدعوة إلى أن تعم المجتمع ، وتكون الاستجابة فيصلح أمر المجتمع ويتولى قيادته الصالحون ، وكما تكونوا يول عبيكم .

وهذا الطريق . طريق الابتعاد عن شهوة الحكم ، هو الطريق الذى سار فيه الأئمة الأعلام ، من كبار الداعين إلى الله تعالى ، أمثال . الحسن البصرى ، وسعيد بن المسيب ، وسفيان الثورى ، والأوراعى ، وعبد القادر جيلانى ، والرفاعى ، وأبى الحسن الشاذلى ، وأبى العباس المرسى ، وابن عطاء الله اسكندرى ، وعشرات غيرهم .

لقد كانوا قمة شامحة فى العلم ، وكانوا قمماً شامحة فى الدعوة إلى الله تعالى ، وعاشوا حياتهم دعين إلى الله تعالى . يحترمهم الحكام ، ويحترمهم الشعب ، وهدوا إلى الله تعالى نفوساً صالحة ، وقادوا إليه سبحانه أفئدة حائرة :

ولأن يهـدى الله بك رجلاً حير لك من الدنيا وما فيها ؛  
ولأن يهـدى الله بك رجلاً حير لك من حمر النعم<sup>(١)</sup> وعلى سبط  
هؤلاء سار شيخنا الحفي

سار في حياته غير متطلع لحكم ولا لدنيا ، ولكن واقعه كان  
شديد الوطأة من ناحية مطالب الحياة المخلوذة التي لا ترعب في  
أكثر من الكفاف .  
ماذا يفعل ؟

لقد بدأ في اتخاذ حربه ، وهذه الحربة اتخذها الإمام الكبير  
أحمد بن حنبل من قبله : وهي نسخ الكتب وبيعها والإنفاق من  
ثمها . ويستفيد الإنسان من نسخها علماً ، ويستفيد من بيعها مالاً  
يكفي - عى صالته ما يمسك الرمق ، ويفيد من ذلك الآخرين  
الذين يشترون الكتاب المسوخ .

واشتري شيخنا أقلاماً ، واشتري محابر ، وبدأ العمل ؛  
ولكنه رأى - عن طريق التجربة - أن ذلك يصرفه ، في قليل  
أو كثير ، عن الاستزادة من العلم ، وربما كان الكتاب المطلوب  
كتاباً عادياً لا يستفيد منه جديداً وهو يريد أن يستفيد جديداً في  
كل لحظة ، ثم طريقه البيع ؟ هل يساوم ؟ هل يعلن عن الكتاب ؟  
وبأى أسلوب يعلن ؟ وعلى أى أساس يساوم ؟

ولكن لابد مما ليس منه بد ، لقد استمر صاحبنا في هذه الحربة

---

(١) وأخرج الطبراني في الكبير حديثاً لفصه ( لأن يهـدى الله عني يدريك رجلاً خير  
لك مما طلعت عليه الشمس وغربت ) وهو حديث حسن

مدة لم تكن طويلة ، يقول الجبرتي عن الشيخ في بدء حياته في التدريس :

« حين جلس للإفادة لازمه جن طلبه العلم ، ومن بهم يسمو المعقول والمنقول .

وكان إذ ذاك في شدة من صيق العيش ، ولنفقة .

فاشترى دواة ، وأقلاماً ، وأوراقاً ، واشتعل بسح الكتب وشق عليه ذلك خوفاً من انقطاعه عن العلم .

فبيما هو في بعض لدروس إذ جاءه رجل وانتطره حتى فرغ من الدرس فقال له :

« يا سيدى أريد أن أكلمك كلمتين »

وأشار إلى مكان قريب ، فسار معه حتى انتهى إلى المدرسة العينية فدخلاها ثم جلسا فخرج لرحل محرمة ملانة بالدراهم ، وقال له :

« يا سيدى فلان يسلم عليك وقد بعث لك معى بهذه الدراهم ويريد أن يحظى بقبولها .

فأخذها منه وفتحها ، وملاً كفه من الدراهم وأراد إعطاءها لحاملها ، فامتنع وحلف لا يأخذ منها شيئاً ، ثم فارقه ذلك الرجل .

وذهب الشيخ إلى البيت وكسر الأقلام والدواة فاقبلت عليه الدنيا من حيثئذ ، وكان يتردد إلى راوية سيدى شاهين الحلوتى بسفح الجبل ، ويمكث فيها الليالى متحدثاً .

وأقبل على العلم وعقد الدروس وختم لحنوم بحضرة جمع العلماء » .

ولقد شمر الشاب الطموح عن ساعد الجد وهجم مباشرة على تدريس أمهات الكتب ، إنه لم يبدُ بالكتب السهلة ، كتب المبادئ الأولى في الفصول ، وإنما اتجه مباشرة إلى الكتب الدقيقة : كالأشمونى ، وجمع الحوامع ، والمنهج ، ومختصر السعد ، وغير ذلك من كتب الفقه والمنطق والأصول والحديث والكلام ، وكان ذلك عام اثنتين وعشرين<sup>(١)</sup> .

وبدأ الطلبة يكثرون في درس الشيخ ، وبدأت شهرته تديع ، وبدأ يتشرب صيته

يقول الجبرتي :

« وحين جلس للإفادة لأمره حل طلبة العلم ، ومن بهم يسمو المعقول والمنقول » .

ويقول الجبرتي وقرأ « انصاح » مرات وكتب عليه .

وكذلك جمع الحوامع ، والأشمونى ومختصر السعد وحاشية حميدة عليه ، كتب عليها وقرأها غير مرة .

وكان الشيخ العلامة مصطفى العزيرى إذا رفع إليه سؤال يرسه إليه ؛

واشتغل بعلم العروض حتى برع فيه وعانى النظم واشتر

---

(١) انظر الجبرتي

وشرح عليه غالب أهل عصره وطبقته ، ومن دونهم كأخيه العلامة الشيخ يوسف ، والشيخ إسماعيل العنيمي صاحب التأليف الديمة والتحريرات الرفيعة المتوفى سنة إحدى وستين ، وشيخ لشيخ على العدوى ، والشيخ محمد الغلاني ، والشيخ محمد الرهار نزيل المحلة الكبرى ، وغيرهم كما هو في تراجم المذكورين منهم

وكان على مجالسه هبة ووقار ، ولا يسأله أحد لمهاتته وجلالته «  
أهـ

وظابت حياة الشيخ واستقرت ، وأصبح في تفرغ كامل للعلم يفيد ويستفيد .

ولكنه كان متفرغاً أيضاً للعبادة ، يقول الحبرتي .

« وكان يتردد إلى راوية سيدي شاهين اسحقوتي بسفح الجبل ، ويمكن فيها الليالي متحنثاً » كان عالماً وكان عبداً ، والعلم النافع هو الذي يشعر في النفس الطيبة الاتجاه نحو الله تعالى ، وإذا لم يكن العالم عبداً فإن علمه وبال عليه .

وقد تحدث الرسول ﷺ ، وتحدث أسلافنا عن العلم والعبادة في استفاضة ، من ذلك ما يلي : وهو بعض ما أخرجه الإمام السيوطي عند تفسيره لقوله تعالى :

﴿إِنَّمَا يَحْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾<sup>(١)</sup> .

أُخْرِجَ ابْنُ الْمُنْذِرِ عَنْ أَبِي عَاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :  
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ قَالَ  
« أَعْلَمَاءُ بِاللَّهِ الَّذِينَ يَخَافُونَهُ » .

وَأُخْرِجَ عَبْدُ بْنُ حَمْدٍ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ صَالِحٍ ، أَبِي الْخَلِيلِ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَوْلِهِ « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » قَالَ :  
« أَعْلَمُهُمْ بِاللَّهِ أَشْلُهُمْ لَهُ حَشِيَّةٌ » .

وَأُخْرِجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ، وَابْنُ عَدِي عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ ، رَضِيَ  
اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ :

« إِنْ أَنْعَمَ لَيْسَ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ ، إِنَّمَا الْعِلْمُ نُورٌ يَقْدِرُهُ اللَّهُ فِي  
الْقَلْبِ »

وَأُخْرِجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ  
قَالَ

« الْإِيمَانُ مِنْ حَشَى اللَّهِ بِالْغَيْبِ ، وَرَعِبَ فِيمَا رَعِبَ اللَّهُ فِيهِ ،  
وَزَهَدَ فِيمَا أَسْحَطَ اللَّهُ ، ثُمَّ تَلَا : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ »  
وَأُخْرِجَ عَبْدُ بْنُ حَمِيدٍ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ :

« كَفَى بِالْمَرْءِ عِلْمًا أَنْ يَخْشَى اللَّهَ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ يَفْجَبَ  
بِعَمَلِهِ » .

وَأُخْرِجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالْحَاكِمُ عَنِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :

« أَعْلِمَ عِلْمَانِ ، عَلِمَ فِي الْقَلْبِ فَذَاكَ الْعِلْمُ الشَّافِعُ ، وَعِلِمٌ عَلَى  
اللسانِ فَذَلِكَ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ » .

وأخرج ابن أبي شيبة عن حذيفة قال :

« يَحْسَبُ الْمَرْءُ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ يَخْشَى اللَّهَ » .

وأخرج ابن أبي شيبة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :

« يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ : أَنْ يُعْرِفَ بَيْلَهُ إِذَا انْتَأَسُ نَائِمُونَ ، وَنَهَارِهِ  
إِذَا النَّاسُ يُفْطِرُونَ ، وَيَحْزِرُهُ إِذَا النَّاسُ يَفْرَحُونَ ، وَيُكَاثِبُهُ إِذَا النَّاسُ  
يَصْنَحُونَ ، وَبَصْمَتِهِ إِذَا النَّاسُ يَحْلِطُونَ ، وَيَحْشُوهُ إِذَا النَّاسُ  
يُخْتَالُونَ »

« وَيَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَلَّا يَكُونَ صَحَابًا وَلَا صَيَّاحًا وَلَا حَدِيدًا » .

وأخرج الخطيب في المتفق والمفترق عن وهب بن منه قال .  
أقلت مع عكرمة أقود ابن عباس رضي الله عنهما ، بعد ما ذهب  
بصره ، حتى دخل المسجد الحرام فإذا قوم يمترون في حلقة لهم  
عند باب بني شيبة فقال

أمل بي إلى حلقة لمراء ، فانصرفت به حتى أتاهم مسلم عليهم ،  
فأرادوه على المحلوس ، فأبى عليهم ، وقال . انتسبوا إلى أعرفكم ،  
فانتسبوا إليه ، فقال :

أما علمتم أن الله عبداً أسكتهم حشيتهم من غير عي ولا بكهم ،  
إيهم لهم المصحف النطفاء النلاء العلماء بأيام الله ، غير أنهم إذا  
ذكروا عظمة الله طاشت عقولهم من ذلك ، وانكسرت قلوبهم ،



وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استقاموا من ذلك سارعوا إلى الله بالأعمال  
الراكية ، فأى أنتم منهم ؟ ثم تولى عنهم . فلم ير بعد ذلك رحلان «  
اشتمل الشيخ بالعلم والعبادة وعمل به علم ، فأفاده العمل صفاء  
العلم ، وأفاده صفاء العلم حسن العمل !  
وتكاتف في حياة الشيخ العلم النافع ولعمل الراكى فكان إماماً ،  
وكان قدوة !

أصبح الشيخ نعمة في كل العلوم التي تدرس في الأزهر ، والتي  
نع فيها هي بواكير شباهه ، ثم راده مر الأيام تجربة وصقلا . وكان  
همه الأكبر . هو تحريج حيل من العلماء الذين يتوافر فيهم الحلق  
الكريم ، والعلم النافع ، وانصرف إلى ذلك انصرافاً شعله عن كثرة  
التأليف ، فلم يبدع في ذلك مبلغ الكثيرين أمثال حجة الإسلام لعزلى .  
أو الإمام الشعراني ؛

ولقد سئل مرة أبو الحسن الشاذلي رضى الله عنه - وكان فعة  
في العلوم الإسلامية : العلوم المكتسبة ، والعلوم اللدنية .. سئل .  
لم لا تؤلف الكتب ؟

فقال : كتبت أصحابي

أما الشيخ الحنفي فإنه كان يمكن أن يقال له :

لِمَ لَمْ تكثر من التأليف ؟

وكان من الممكن أن يقرر : شغشتي تربية المريدين عن كثرة التأليف  
يقول الجبرتي عنه

« ولم يعان التأليف لاشتغاله بالإلقاء والإقراء »

ويمكن أن تتضمن كمة الحبرتي هذه بصائح الشيخ للمريدين ولأتباع ولسير بهم - بتوفيق الله - في طريق الهداية .

ومع ذلك فإن الشيخ احصى ألف مجموعة لا بأس بها من هائس الكتب .  
لقد ألف :

١ - رسالة موجزة كل الإيجاز في ضبط أسماء الذين حضروا عزوة بدر من الصحابة ، وقد اقتصررت الرسالة - تقريراً - على ضبط الأسماء ، وسماها : « الثمرة الهية في أسماء الصحابة البدرية »

٢ - حاشية على شرح الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي على متن الحمزية ، في مدح حير البرية .

والحمزية قصيدة طويلة هي أصول قصائد لإمام البوصيري ، وهي قصيدة البردة أنص قصائد البوصيري .

وتبتدى الحمزية بقول البوصيري رضى الله عنه :

كيف ترهى رعيك الأسياء يا سماء ما طاولتها سماء  
لم يساؤوك في علاك وقد ح ل ساء ملك دونهم وساء

والحمزية هذه كلها درر ، ومن الحير أن يتدرسها الدارسون ، وأن يحفظها عشاق الأدب ارفع . والنحو لرسول الله ﷺ ، وسماها :  
ألف السلك والعبادة والحدوة طفلاً وهكدا الحياء  
وإذا حلت الهداية قلباً نشطت في لعبادة الأعضاء

ومنها :

لا تَحُلْ حِجَابَ النَّبِيِّ مُضَامًا      كلُّ أَمْرٍ بَابُ النَّبِيِّينَ فَالشَّدَّ  
لو يمسُّ التُّضَارُّ هَوْتٌ مِنَ النَّارِ

ومنها :

رَحْمَةٌ كُلُّهُ رَحِزَمٌ وَعَرَمٌ      لا تَحُلْ الْبُاسَاءَ مِنْهُ عُرُ الْبَصِّ  
كُرِمَتْ نَفْسُهُ فَمَا يَحْطَرُّ السُّو

ومنها :

لا تَكْذِبْ أَنَّ الْيَهُودَ وَقَدْ رَأَى      جَحَدُوا انْصِطْفَى وَأَمْسَ بَانْعَا  
قَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ وَاتَّخَذُوا الْعَجَبَ  
وَسَفِيهِ مِنْ سَاءَةِ الْمَنِّ وَالسَّكِّ  
مُكِبَتْ بِالْحَيْثُ مِنْهُمْ بَطُونٌ  
لَوْ أُرِيدُوا فِي حَالِ سُنْتٍ بِحَيْرٍ  
هُوَ يَوْمٌ مَبَارَكٌ قِيلَ لِلتَّصَدَّقْ  
فَبَطِمَ مِنْهُمْ وَكَفَرَ عَدَّتْهُمْ

وقرب نهايتها يقول :

إِنَّمَنْ مَعْجَزَتُكَ الْعَجْزُ عَنْ وَصْفِكَ      كَيْفَ يَسْتَوْعِبُ الْكَلَامُ سَجَايَاكَ  
وَهَلْ تَنْرَحُ الْبَحَارَ الرِّكَاءُ<sup>(١)</sup>

(١) الرِّكَاءُ : جمع رَكْوَةٍ وعاء صغير

والهمزية لنفاستها - حول الشعراء معارضتها : أى تأليف قصيدة على وربها ومن رويها وفي موضوعها ، وهكذا يفعل الشعراء الفحول ، بالنسبة للقصائد التى تسير فى العالم سرى الضوء ، لفصاحتها وبلاغتها ونفاستها معانيها .

ومن خير من عارض هذه القصيدة أمير الشعراء : أحمد شوقى .  
وقد سمي قصيدته : الهمزية النبوية

وهى قصيدة من نفائس غرر شوقى مطلعها :

ولد الهدى ، فالكائنات ضياءُ	وفم الرمان تيسمُ وثناءُ
الروحُ والملائكُ حوَّةُ	بلديس والدينا به بُشراءُ
والعرش يزهو ، واططيره تزدهى	والمتهى والسُدرةُ العصماءُ
وحديقة الفرقان ضاحكة الربا	بالترجمان ، شذية عاءُ
والوحى يقطر سلسلاً من سلسلٍ	واللسوخ والقلمُ البديعُ رواءُ
نُطِمتْ أسامي الرُّسلِ فهى صحيفةُ	فى اللوح ، واسمُ محمد طعراءُ
اسم الجلالة فى بديع حروفه	ألفٌ هالكٌ، واسمُ (طه) الباءُ

ومنها هذه الأبيات الفاحرة الجميلة الثاقبة الحسنة :

فإذا سَحَوْتَ نعتَ بالجود المدى	وفعلت ما لا تفعلُ الأنواءُ
وإذا عَفَرْتَ فقادراً ، ومقدراً	لا يستهين بعفوك الجُهلاءُ
وإذا رَجِمْتَ فأنت أمٌ ، أو أبٌ	هذان فى الدنيا هما الرُّحماءُ
وإذا غَضِبْتَ فإنما هى عصاةُ	فى الحق ، لا ضيعن ولا بعصاءُ
وإذا رَضِيتَ هداك فى مرضاته	ورضى الكثير تحلُّمٌ ورياءُ
وإذا خَطَبَ فللمصابر هجرةُ	تعرو البدي ، وللقلوب بكاءُ

وإذا قضيت فلا ارتياب ، كأنما  
 وإذا حميت الماء لم يُرد ، وبو  
 وإذا ملكت النفس قُنتَ بِرِها  
 وإذا بنيت حبيرُ زَوْجٍ عِشرةُ  
 وإذا صحيتَ رأى الوفاءَ مُحسِّمًا  
 وإذا أخذتَ العهدَ ، أو أُعطيته  
 وتمدَّ حِلْمُكَ للمفِيهِ مُداريًا  
 فى كل نفسٍ من سطاك مهابةُ  
 جاءَ الحصومَ من السماء قضاءُ  
 أن القياصرَ والملوكَ ظمَاءُ  
 ولو أن ما ملكت يداك الشاءُ  
 وإذا أثبتتَ فدوكَ الآباءُ  
 فى بردِكَ الأصحابُ والحلطاءُ  
 فجميعَ عهدك ذمَّةٌ ووفاءُ  
 حتى يضيقَ بعرضك السفهاءُ  
 ولكل نفسٍ فى نداك رجاءُ

ومها :

بك يا ابنَ عبدِ الله قامتَ سَمْحَةٌ      بالحقِّ من مِلَلِ الهُدَى غُرَاءُ  
 بُنيتَ على التوحيدِ ، وهى حَقِيقَةٌ      نادى بها سقراط ولقدماءُ  
 وقد شرح قصيدة اُهمرية لبوصيرى رضى الله عنه كثير من الكتاب  
 ومن شرحوها العالم الكبير لإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيثمى  
 ويقول عنها .

قصيدته اُهمزية المشهورة ، العدة الألفاظ ، انجولة المانى ، العجبية  
 الأوضاح ، البديعة المعانى ، العديمة التطير ، البديعة التحرير ، إذ لم  
 يسج أحد على مساوها ولا وصل إلى حسنها وكماها ، حتى إلامام لرهاذ  
 القيراطى المولود سنة ست وعشرين وسبعمائة والمتوفى سنة إحدى  
 وثمانين وسبعمائة فإنه مع حلالاته وتصعده من العلوم الثقيلة ، وانعقبة  
 وتقدمه على أهل عصره فى العلوم العربية والأدبية لا سيما علم البلاغة ،  
 وبقد الشعر ، وإتقان صعبته ، وتعمير خلوه من مره ، ونهديثه من بدايته ،

أراد أن يحاكيها ففاته الشنب<sup>(١)</sup> ، وانقصت به الحيل ، عن أن يبلغ من معرضتها أدنى أرب ، وذلك لطلاوة نظمها ، وحلاوة رسمها وبلاغة جمعها ، وبراعة صنعها ، وامتلاء الحافقين بأوار جمالها ، وإدخال دعاوى أهل الكثرين يراها جلالها فهي دون بطائرها ، الآخذة بأرمة العقول والجامعة بين المعقون والمقول ، والحاوية لأكثر المعجزات والحاكية لشمائل الكريمة على سر قطع أعناق أفكار الشعراء عن أن تشرب إلى محاكاة تلك المحكيات .

وأهمرية البوصيرية التي شرحها ابن حجر الهيتمي ، والتي كتب حاشيتها الشيخ السفي موضوعها مدح رسول الله ﷺ ، وعن مدح رسول الله ﷺ يقول الهيتمي :

« فمما يتعين على كل مكلف أن يعتقد أن كالات نبيا ﷺ ، لا تحصى ، وأن أحوله وصفاته وشمائله لا تستقصى ، وأن حصائصه ومعجزاته لم تجتمع قط في مخلوق ، وأن حقه على الكمل ، فضلاً عن غيرهم أعظم الحقوق ، وأنه لا يقوم بعض ذلك إلا من يدل وسعه في إحلاله وتوقيره وإعظامه ، واستحلاء منافاه ومآثره وحكمه وأحكامه ، وإن المدحين سبحانه العلى . والواصفين لكماله الجلى ، لم يصلوا إلا إلى قل من كل ، لا حد لهايته ، وغيص من فيض ، لا وصول إلى عايته ، ومن ثم كان أبلغ بيت هذا المطلع<sup>(٢)</sup> . الآتي كما يعلم بما يأتي فيه ، وفي بردة المديح

(١) الشب عدوية الأسان وحسها ( قائمة جمال المم )

(٢) مطبع المهرية هو

كيف ترني ريثك الأنبياء يا سماء ما طاولتها سماء

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفهم

ثم يليه :

دع ما ادعته البصارى في بيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

ثم يليه :

فمبلغ العلم فيه أنه بشر وأنه خير خلق الله كلهم  
فاق النبير في خلق وفي خلق ولم يدانوه في علم ولا كرم

فهم مقصرون عما هناك قصرون عن أدء كل ما يتعين من  
ذلك كيف رأى الكتاب مخصصة عن علاه بما يهر العقول  
ومصرحة من كل صفاته بما لا يستطاع إليه الوصول وقد قيل :  
ماذا عسى الشعراء اليوم تمدحه من بعد ما مدحت حم تنزيل

فعلم من ذلك أنه لو بالغ الأولون والآخرون في إحصاء مآقه  
لمجزوا عن استقصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ، ولكن  
المسلم بساحل بحر مقتصراً عن حصر بعض فخرها ؛ ولقد صبح  
لحميه أن يشدوا فيه

وعلى تفنن واصفيه بوصفه يعني الرمان وفيه ما لم يوصف

وبه لتحقيق بقول لقائل :

فهلعت كف امرئ متاولاً من المجد إلا والذي نال أطول  
ولا بلغ المهدون في القول مدحة ولو حذقوا إلا الذي فيه أفضل

ولابن خطيب الأندلسي :

مدحتك آيات الكتاب فما عسى      يشي على عليك نظم مديحي  
وإذا كتاب الله أثنى مصححاً      كان القصور قصاراً<sup>(١)</sup> كل فصيح  
ويقول الشيخ الحفني في ابتداء حاشيته :

« بسم الله الرحمن الرحيم . حمداً لمن جعل أصحابه أدلاء على  
سبيل الهداية ، وأمد لهم بنوامع الأنوار وسواطع الأسرار في الندية  
والهياة ، وصلاة وسلاماً على صاحب الرتب العتبة ، وعلى آله وأصحابه  
كتوز المعارف الإلهية .

وبعد      فيقول فقير المعنى عبد موله محمد الحفني .

هذه حواشي تفوق نقائس الدرر على شرح « الحمزية » ، للعلامة  
الشهاب ابن حجر ، جاد بها الكريم الوهاب ، أيام قراءتي المتن ،  
ومطالعتي عليه هذا الكتاب ضاعف الله لي ووفقيهما الأحرور ، إنه  
جواد كريم غفوراً » أهـ

وحاشية الشيخ الحفني تنح في الغالب الأعم إلى الدحية النغوية ،  
ويدل ذلك دلالة واضحة على تمكن الشيخ تمكناً عميقاً من الحجاب  
النعوي ، ولكنه من آن لآخر يتحدث عن الحجاب الروحي ، وعن  
راء تتصل بالتصوف ، ونحن هنا نعطي بعض الأمثلة هي مسائل  
ذات أهمية ؛

يقول الإمام البوصيري في همزيته :

ليته حصي بروية وجهه      ران عن كل من رآه الشقاء

---

(١) جهده وغاية



ويتحدث الإمام الحصى عن ذلك فيقول :

« بأن يرى روحه الشريفة المتشكلة شكل جسده الشريف انطلقت  
الانطلاق الكلي ، أو جسده الشريف ، فيه حتى في قبره ، ولا  
مانع من إكرام الله بعض عبيده برفع الحجب بينه وبين رسول الله  
ﷺ ، فيراه في قبره ، وإن بعدت دبره ، فليس المراد برؤيته نقطة ،  
لأنه يخرج من قبره بروحه وجسده ، ويمشي في الأسواق ، ويأتي  
لمكان الرائي ، ويخفي عن من لم يرد الله له رؤيته كاملاً ، وإنما  
المراد أن الحجب تزول حرقاً للعادة ، بأن تجعل تلك حجب كالزجاج  
الذي يحكي ما وراءه فيراه أولياء الله عين بصرهم مع كونه في  
قبره ، ويحدثونه ويسألونه عن أشياء ، ويحييهم ويسمعون ، وإن  
بعدت أماكنهم ، لأنه حتى في قبره .

( قوله بخ بخ ) فيه لعتان إسكان الحاء وكسرهما مونا وهي  
كلمة يطلق لتصحيح الأمر وتعظيمه هي لحير ا هـ شرح مسلم  
للنووي .

وقال في الصحاح هي كلمة تقال عند المدح ، والرصد بالشيء  
وتكرر للمبالغة فيقال . بخ بخ ، فإن وصلت خفضت وبونت ،  
فعلت بخ بخ ، وربما شددت كالاسم ا هـ .

وقال هروى في عريه . وسكت الحاء كما سكت في « هن »  
و « بل » ويقال بخ بخ بالحمص مونا ، فمن فعل ذلك شبهها  
بالأصوات « كصه » وما أشبه ذلك وقال ابن السكيت . « بخ  
بخ » « وبه به » بمعنى واحد ا هـ

( قوله . هذا التاموس ) هو صاحب سر الخير ، والتاموس : هو صاحب سر الشر ، ولم يقل التاموس لدى أنزل على عيسى ، مع قرينه ، وحكمه بشريعته بعد نزوله ؛ لأن ورقة كان نصرانيا . والنصارى لا يقولون في عيسى : « إنه نبي » يأتيه الوحي ، وإنما يقولون : إن أقومًا من الأفانيم الثلاثة ، حل في ناسوت المسيح . وهو أقوم الكلمة . ولكلمة عندهم عذره عن « العلم » فذلك كان المسيح عندهم يعلم العيب ، فدب عدل إلى ذكر موسى لاعتقاده : أن جبريل كان ينزل عليه ، وأيضًا موسى متفق على نبوته عند أهل الكتابين ، وأما عيسى فكثير من اليهود يكررون نبوته

( قوله مسيلمة لكذاب العين ) ويروى عن النعير ، أنه قيل له : إن محمدًا إذا تفل في الماء الملح صدر عذبًا ، فهل تفتل في هذا لشر الملح فيصير عذبًا مثله ؟ فتفل فيه ، فقار مأوه ، وأتى له ناعور ، فدعا الله تعالى أن تعود له عذبه العوراء . فغرت الصحيحة ، فقيل ما هذا ؟ فقال إن محمدًا بعث بالعمار . وبعثت بالحرب ، وقد أنزل الله تعالى فيه ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ (١) الآية .. وقتل في أيام أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه رمن بخلافته لما غزا اليمامة ، وقتله وحشى قاتل حمرة بن عبد المطلب ، قال قتلت بحربتي حير الناس ، وقتلت بها شر الناس ، يعنى مسيئة ويعنى يحير الناس حمرة رضى الله عنه ولعل الله أن يكفر هذا بذلك . قوله لكن كلمه طهر ، مما قيل في معنى الطهر ، والظاهر أن

(١) الصف : ٧

ظاهر الكلمة لفظها ، وباطنها تأويلها . ومه أن القصص التي قصها الله عن الأمم الماضية ، وما عقبتهم بها ظاهرها ، لإخفاء بهلاك الأولين وباطنها ، وعظ الآخرين وتحذيرهم أن يفعلوا كعملهم فيحل بهم مثل ما حل بهم ، ومه أن ظاهرها ما ظهر من معانيها ، وباطنها ما تضمنته من الأسرار التي اطلع عليها أرباب الحقائق ؛

وقوله : وحد ، أى أحكام احلال والحرام ؛

وقوله : ومقطع سبق قسم ، وانظاهر بدله مطع أى إشراف على الوعد والوعيد : كذا فى الإتقان .

( قوله الأب والابن إلخ ) إنما ياسب هذا هو قال الشارح أن الله أجزاء ثلاثة . وأما قوله أن الله ثالث ثلاثة إنما ياسب أن يقول بعده ما فى الجلالين من تفسير قوله إن الله ثالث ثلاثة وبصر ما فيهما . أى آلهة ثلاثة ، أى أحدها ، والآخرا عيسى ومه ، وقد يقال هذا ظاهر على ما ذكره السباطى يريدون بالأب الوجود ، وبالابن العلم ، وبروح القدس الحياة ، والذى ذكره الحارث فى تفسيره الأقانيم ما ملخصه أن أقنوم الأب : ذات وأقنوم الابن . عيسى ، وأقنوم روح القدس : الحياة الحالة فيه اهـ

وفيه أن الحياة الحالة فى عيسى ليست إلها حتى يكون مادكره الحارث مناسبا لما فى الشرح النهم ، إلا أن يقولوا إن الحياة المذكورة إله ، وحينئذ فتظهر مناسبتها لما فى الشرح ، تأمل ، وحينئذ فعبارة السباطى وقول الشارح الأب إنما ياسبان قول فرقة أخرى من أهل الصلال : إن الله مركب من أقانيم ثلاثة . الأب والابن وروح القدس الملية فى شرح السباطى وهذه الفرقة هى تنصورية من الصارى ،

ويقولون أيضًا إن المسيح ابن الله والفرقة القائلة بأن الله ثالث ثلاثة  
المبينة في التحاليل وهم المرقوسية وهم نصارى نجران

( قوله نسطورية ) يضم النور وفتحها أصحاب سطور الحكيم  
الذى ظهر في زمن المأمون وتعرف في الإسحير برأيه وقال إن الله  
واحد ذو أُناسيم ثلاثة وأن المسيح ابن الله ، وقوله . ويعقوبية ، أصحاب  
يعقوب راهب القسطنطينية ، قالوا : إن المسيح هو الله هبط إلى الأرض  
ثم صعد إلى السماء وقوله : « ومكيه ، أصحاب ملكاك لدى ظهر  
بيلاد نروم ، قلوا . المسيح عبد الله ونبيه كذا في البيضاوى في سورة  
مريم (١) عند قوله ﴿فَاخْتَفَى الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ الآية

زاد الثعالبي ، والمرقوسية وهم نصارى أهل نجر ، قالوا : الله ثالث  
ثلاثة والآحران عيسى وأمه وسيأتي أن الناظم أشار لفرقة حمسة بقوله .  
« أم أردتم » بها الصفات كما هي شرح السنباطي على ما يقتضيه ظهر  
عبارته ، وسيأتي نقلها هناك ، وإمكان رد مذكره مذهب اليعقوبية .  
قوله . إن مثل أهل بيتي إلخ ، وما أطلب قول بعضهم يماح  
أهل البيت .

يا نحر الندى أ أحشى وأنتم سعن للجساة يوم المعاد  
لست أحشى يا آل أحمد دنيا مع حى لكم وحسن اعتقادى  
قوله لأن الله ورسوله أثيا . إلخ ، والله در شيخ العلامة  
الشبراوى ، من قصيدة يمدح بها آل البيت :

(١) مريم . ٣٧٠ .

قان لي قائل رأيك نهوى      آل طه ودائمًا تجنيهم  
 إن حقا عليك تستغرق النعم      ر مديحًا فيهم وفيمن يليهم  
 قلت ماذا أقول والنكون طرًا      يستمد العطاء من ناديهم  
 أنا لا أستطيع أمدح قومًا      كان جبريل حادمًا لأبيهم

وفي نهاية الحاشية يقول الشيخ الحفنى :

وهذا آخر ما من به الملك الوهاب ، وإليه سبحانه وتعالى المرجع  
 والمآب نسأله من فضله أن يجعلها هداية نافعة لكل قلب منيب ،  
 كاشفة ظلمات الأوهام عن كل صب مصيب ، والحمد لله رب  
 العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين ، حقيقة الصلوات ،  
 وروح للكلمات ، محمد جامع الإحسان الداتى القرآنى ، حاوى  
 التفصيل الصفاتى المرقابى ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأحبابه ؛  
 ثم يقول رحمه الله معرًا عن الرمز الذى فرع فيه من تأليفها .  
 قال جاسعها حفظه الله وكان الصراع من تعليقاتها يوم الأربعاء ،  
 عره شعبان سنة سبعين ومائة وألف من هجرة أشرف المرسلين عليه  
 أفصل الصلاة والسلام . وأسأل الله من قصده حسن الحتام ، ولا حول  
 ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

\*\*\*

سن أن كتبنا عدة مرات عن « الطريق الصوفى » ، هي عدة  
 من كتبنا ، والطريق الصوفى نوعان :  
 ١ - نوع خاص بكل طريقة .  
 ٢ - نوع عام يلتزمه كل الطرق .

والنوع الخاص : هو الطريق الذى اتبعه شيخ الطريقة ، فوصل به إلى القرب من الله تعالى ، ولذلك فهو يرسمه لأتباعه ومريديه ، وما كان يتأتى غير ذلك ؛ إذ أنه - وقد وصل إلى القرب عن طريق معين - يرى قيادة أتباعه فى هذا الطريق ؛ وخصوصاً وأنه لا يعرف غيره .

ومن هنا كان اختلاف الطرق ، ولكلها كلها تنتهى - على اختلافها - إلى القرب !

والقربُ فى العرف الصوفى : هو التوحيد ، والتوحيد واحد ومن هنا يقول الإمام الشبلى : بدؤه : معرفته ، ونهايته توحيده ، ومن هنا يقولون عبارتهم المشهورة .

« التوحيد واحد » والطرق إلى الله كنفوس بسى آدم !

ويقول ابن سينا فى ذلك عن الطريق الصوفى ، أو عن الصوفى فى سيره : « مُتَّهِ إلى الواحد ثم وقوف » !

أى أن العاية التى ينتهى إليها الصوفى . هى التوحيد ، والتوحيد هو مركز الدائرة للجميع ، وهم يشبهون الطرق بدائرة ، وهذه الدائرة لها بالضرورة محيط ومركز ، ومن المحيط تخرج خطوط تصل إلى المركز ، وهذه الخطوط فى مبدأ خروجها من محيط الدائرة تكون متباعدة قليلاً ، أو كثيراً ، ولكلها فى سيرها نحو المركز تتقارب باستمرار حتى إذا ما وصلت إلى المركز اتحدت !

والمركز : هو التوحيد ، والخطوط هى الطرق .

بيد أن هذه الطرق يشترط فيها أن تسير من اسدإ إلى السهاية

فى إطار لتعاليم الدينية ، فإذا ما انحرفت ، فقد خرجت عن أن تكون طريقة ، وعن أن تكون تصوفاً .

والتصوف يتكون من هدين لعصرين : الطريق والغاية  
والطريق وحده لا يسمى تصوفاً ، والغاية وحدها لا تنأتى  
إلا بالسير ، والسير لا يكون إلا فى ضوء الدين ، وفى أنوار الوحي .  
هذا عن الطريق اسخاص

أما عن النوع العام الذى تلتزمه كل طريقة ؛ فهو ما يسمى  
بالمقامات ، التى تنتج عنها الأحوال

والأحوال : وإن كانت ثمرة للمقامات ، فإنها تكون - أيضاً -  
استشرافاً إلى مقام أعلى ، فهى إحد ثمرة وتوجيه إلى ما هوسمى  
فالتوبة مقام ، أو المقامات ، وفى مقام التوبة أحوال ، أى إلهامات  
سريعة عابرة توجه إلى الصديق فى التوبة ، وتستشرف إلى مقام الورع  
وما من شك فى أن الإنسان يتسامى فى التوبة بنفسها من سام  
إلى أسسمى ، فهناك التوبة عن كمائر الذنوب ، ثم التوبة عن صغائرها ،  
ثم التوبة عن اللحم ، ثم التوبة عن الحواطر السيئة ، ثم التوبة عن  
العملة ، ثم التوبة عن القصد .. وهكذا ! وفى أثناء « الأحوال »  
الحاصلة بالتوبة تمر بالإنسان الأحوال الموجهة إلى الورع ، وتستمر  
الأحوال الموجهة إلى الورع تفرع الشعور مستشرفة إلى لورع ،  
حتى يصبح الإنسان ورعاً

فإذا كان مقام الورع أحدث الأحوال تتوالى . دقة فى الورع نفسه ،  
واستشرافاً إلى مقام : لرهذ ، وتستمر الأحوال فى تسام فى الورع ،

وهي استشراف إلى الزهد ، حتى إذا ما تمكس الإنسان في مقام الورع ،  
أحدث به الأحوال : حادثة وموجهة إلى مقام الزهد .. وهكذا !  
هذا النوع العام من الطريق هو في جوهره النوع الأخلاقي ،  
أسمى ما تكون الأخلاق

يبد أن السوك الظاهري ، واضح في المراحل الأولى : إنه واضح  
في الإقبال على الأشياء ، وفي الانتهاء عنها ، واضح في الإيجاب  
والسلب ، في الأحد والترك ويضاحيه في ذلك الحانب القلبي  
فإذا ما تقدم الإنسان في الطريق ، فوصل إلى التوكل ، الذي  
هو في حقيقة الأمر أول المقامات الصوفية الأصيلة ، كان الشعور  
القلبي هو اللب والجوهر .

ولقد سار أبو الأنوار في الطريق الخاص ، وسار في النوع العام  
ومستحدث بتوفيق الله عن الأمرين عنده ، وبتدئ بالطريق الخاص  
وطريق أبي الأنوار الخاص هو الطريق الحوتني : لقد كان  
أبو الأنوار خلوتياً في نهجه الصوفي العام

ولكنه كان من سعة الأفق ، ومن رحابة الصدر ، ومن التمكن  
في الولاية ، بحيث يروى عن كبر الصوفية من أية طريقة كانوا  
ويشئ عليهم وينقل عنهم .

إنه مثلاً ينقل عن أبي العباسي «مسي» ، - رضى الله عنه -  
قوله : « جلست في الملكوت ، فرأيت أبا مدين معلقاً بساق العرش :  
فقلت ما مقامك ؟  
قال : رأس الأبدال .



قلت : فشادلى ؟

قال : داك بحر لا يحاط به !

وسنرى إن شاء الله - حينما نتحدث عن مقام « المحبة » إنه ينقل عن الشادلى رضى الله عنه كثيراً من الكلمات الجميلة العيسة ، التى تتعلق بالمحبة ، ويكاد يقتصر على ما قاله الشادلى فى ذلك . ثم إنه كتب حاشية على هجرية الإمام البوصيرى والإمام البوصيرى شادلى الطريقة .

لم يكن المحصى يتحرج من أن يمدح الأولياء ، أو ينقل عنهم ، أو يشرح كلامهم .

وهذا شأن كل من وصل إلى الولاية الحق .

ودلك أن من وصل إلى القرب من الله سبحانه فقد وصل إلى التوحيد - مركز الدائرة وفى التوحيد تلتقى كل الطرق ، وتمتدح وتأنف وتصبح وحدة .

إنها إذا افرقت فى المبدأ فإنها تتقارب كلما قربت من الله تعالى - من التوحيد - وبمقدار قربها من التوحيد يكون تقاربها حتى إذا انتهت إلى الواحد أصبحت واحدة . وفى هذه المرحلة يكون الولي شاذلياً ، وأحمدياً ورفاعياً وقادرياً وما شئت من حرق .

ومن أجل ذلك فإن كبار الأولياء أحوه متحابون فى الله ، يعمون جميعاً هداية الحق إلى الحق ، ناتباع إمامهم المعصوم صلوات الله وسلامه عليه

ونصل الآن إلى رسم طريقة أبى الأنوار الخاصة مبتدئين معها من نشأتها وإذا أراد الله أمراً هياً له أسبابه .

ومن الأسباب المباشرة لاندفاع أي الأتور في أضواء التصوف .  
أن وفقه الله إلى شيخ صادق .

ومسألة الشيخ الصادق لها أهميتها الكبرى في طريق النجوم ومن  
توفيق الله أنه :

في سنة ١١٣٣ حضر إلى القاهرة الأستاذ الكبير العارف بالله  
الشيخ مصطفى البكري ، وكان للشيخ مصطفى شخصية قوية . عدم  
غزير ، وعمادة لا تفتقر ، ومصدق جاد ، ونظرات نقادة .

وكان له هبة ، وكان له مع الهبة جاذبية تجعل المرء ينسحب  
به ، ويتحشرون إلى الله على يديه تائبين منيبين ، وتتغير حياتهم بين يوم  
وليلة من ممضية إلى طاعة ، ومن انحراف إلى استقامة . وهكذا حياة  
أولياء الله :

إياها في أيديهم ونهارهم هداية إلى الله ، ودعوة إلى سبيل المؤمنين ..  
أما عن التعريف بالسيد البكري ، فهو :

« مصطفى » يقول عنه العارف بالله الشيخ عمر الشراوي رضي  
الله عنه . « علم على المصنف ، وهو من أسمائه عليه السلام ، ومعناه  
المختار ، مأخوذ من الصغوة وهي الحلوص ... » .

ابن « كمال الدين » ويقول عنه العارف بالله الشيخ الشرقاوي  
رضي الله عنه :

وكان رضي الله تعالى عنه عالماً صالحاً ، قليل لاحتلاط بالناس ،

كثير الأوراد ، نشأ متعباً ، مصاحباً للعبة ولديانة ، وأخذ العلم  
عن أسياف كثيرين .

« ابن علي » : يقول الشيخ الشرقاوي كان صاحب أخلاق  
مرضية ، وقلب سليم ، ومن شهد له بالفضل : العارف بالله الشيخ  
عبد العني التابلسي وأخذ طريق النقشبندية عن العارف المحقق  
الشيخ الكردى اللارى ، وطريق الحلوتية عن العارف بالله قره باش  
علي أفندي .

ابن كمال الدين . يقول العارف عمر الشبراوي : لقب وصع  
علما علي والد جد المصنف ، وقال العارف الشرقاوي نقلاً عن الثقات :

إنه كان شافعي المذهب ، تقياً ، ديناً ورعاً ، علي أثر أسلافه ،  
هياً لبناً ، لطيف الصفات ، حسن الخلق والحق ، يتفرب كثيراً  
بصلة الأرحام ، ويتودد بقلوب الخوص والعوام .

ابن محيي الدين : يقول الشيخ عمر الشبراوي

لقب لحد جد المصنف ، واسمه . عبد القادر بن محمد بدر  
الدين . وكان شافعيّاً ، وكان عالماً ، ورعاً تقيّاً ، علي أثر  
أجداده ، رضي الله عنهم أجمعين : وينتهي نسبه من جهة أبيه ،  
إلى الصديق رضي الله عنه ، فهو بكرى نسبة إلى حيفة رسول الله  
ﷺ .

أما من جهة أمه . فإن نسبه يتصل بمولانا الإمام الحسين رضي  
الله عنه .

ومن جهة ثم حذره أحمد زين الصديقي فإن سبه يتصل  
بمولانا الإمام الحسن رضي الله عنه فهو بكري<sup>(١)</sup> حسنى حسيني .

---

(١) وعن الشيخ مصطفى البكري يقول صاحب كتاب الأعلام ما بين مصطفى بن  
كمال الدين بن علي البكري الصديقي، الحلوتي طريقة، اخفى مذهباً، أبو المواهب ، متصرف ،  
من العلماء ، كثير الرحلات والتصنيف والظلم، ولد في دمشق ، ورحل إلى القدس سنة  
١٠٢٢هـ ، ودار حلب ، وبعداد ، ومصر، والقسطنطينية والحجاز ، ومات بمصر  
رأيت من كتبه :

مجموع رسائل رحلاته (خ) في مجدد كبير أكثره بخطه ، ويشتمل هذا المجموع على  
الرسائل الآتية

- الجمرة المحمية في الرحلة القسسية
- الخطوة الثانية الأنسية للروضة الدانية القدسية
- برء السقام في زيارة بررة والمقام .
- لمع برق المقدمات العوالي في زياره حسن الراعي ووده عبد العال
- الحلة الذهبية في الرحلة الحلبية
- التحله النصيرية في الرحلة المصرية
- احالة الحقيقية لا للحجازية في الرحلة الحجازية
- أردان حلة الإحسان في الرحلة إلى جبل لبنان
- احلة الرضوية الإنجازية الدانية في الرحلة الحجازية الثانية .
- احلقة الرضوانية الإنجازية الثانية في الرحلة الحجازية الثانية .
- العرائس القديمة المفصحة عن النسائس النمسية
- وبى تزيخ لمراوى أسماء كتبه كلها ، منها .
- والسيوف اعداد بى أعناق أهل الزندقة والإلحاد (ط)
- والدخيرة للمحية للآثام ، في الصلاة على خير الأنام (ط)
- والمورد العذب لسوى الورود في كشف معنى وحلة الوجود (خ)
- رسالة والصلاة الجامعة (ط) في مسائل الحلفاء الأربعة
- والفتح القلبي (ج) أدعية .
- وبلعة للريد (ط) أرجورة في التصوف ٢١٣ بيت
- وأرجورة في الشمائل (خ)

وهو نظم كثير وقصائد جملة خارجة عن الدواوين تقارب أشي  
عشر ألف بيت<sup>(١)</sup> .

وطريقته كما قلنا « لحلونية » وفي ذلك يقول العارف  
بالله الشيخ عمر اشبراوى وهى طريقة العارف بالله تعالى ، الشيخ  
الحجيد رضى الله عنه التى سنكها ، أى المصنف ، على يد شيخه  
الشيخ . عبد اللطيف الحلبي ، وأجاره بالإرشاد قبل وفاته بسنتين  
أو أكثر ، ثم بعد وفاته أجاره الشيخ عبد الغنى البابسى بطريقة  
القادرية والفشيدية ، ذكره المصنف فى الشرح الكبير للورد ،  
والمصنف الذى يعنيه هو : الشيخ مصطفى البكرى نفسه .

= والتواصى بالصبر والحق (ج) تصادف

وشرح القصيدة المنعرجة (خ)

وهوائد الفرائد (ط) منظومة فى العفائد .. شرحها الدردير .

واللمحات (ط) فى صولات ابن مشين

وم منظومة الاستعمار (ط) مع شرح ها

والنهل العذب السالغ برواده ، فى ذكر صولات الطريق وأوراده (ط)

لمرادى ٤ ١٩٠ ٢٠٠ : وفيه بلغت مؤلفاته ٢٢٢ ما بين مجدد وكرامتين وأقل وأكثر

(١) والجبرتي ١ : ١٦٥

وجامع كرامات الأوليا ٢ : ٢٥٤

وبيت الصديق : ١٥٥

وفهرس المهارس ١ : ١٥٩

والتيهورة ٣ : ٣٧

ومعجم المطبوعات . ٥٨٢

وكتابه الأخير « المنهل » من مخطوطات عزلة السيد أحمد عمري .

ذكره فى إزالة الشبهات : ٢٢١

وانظر مخطوطات الظاهرية ٦٩

وفهرس المؤلفين . ٣٠٠

وأما مذهبه فإنه المذهب الحنفي .

يقول لشيخ حسن شمة ، عن السيد الكرى : شأ بيت المقدس  
على أكرم الأخلاق ، وأكملها ، وأحسنها وصفاً ، وأعدلها .

رباه شيخه الشيخ عبد اللطيف الحلبي المتقدم ذكره في الطريق  
وعده بلبان أهل المعرفة والتحقيق ، ففاق ذلك الفرع الأصل ، وطهرت  
به في الأفق شمس الفضل ، فبرع فهماً وعلماً ، وأبدع نثراً ونظماً ،  
ورحل إلى جل الأقطار ، سلوع أجل الأوطار ، كما دأب على ذلك  
السلف ، لما فيه من اكتساب المعالي واشرف ، وفي مرحلته إلى  
« إسلامبول » ، بس فيها ثياب الحمول ، ومكث فيها سنة ، لم  
يؤذن له بارتحال ، ولم يدر كيف الحان ، فلما كان آخر السنة قام  
ليسة ، فصلى على عاده من التهجيد ما شاء الله أن يصلي ، ثم  
جلس لقراءة الورد السحري . وفي نهاية ثلث الليلة أذن له بالرحيل

ويقول أيضاً : ورحل أيضاً إلى « جبل لبنان » وإلى « البصرة »  
« وبعداد » وماوالاهما وحج مرات .

وكان الشيخ البكري مكثراً في التأليف ، وعن ذلك يقول الشيخ  
حسن شمة . ونأليه نفارب المائتين ، وأحرايه وأوراده أكثر من سنين ،  
وأجلها ورده السحري ، إذ هو باب قواعد الفتح ، وله عليه ثلاثة  
شروح ، أكبرها في مجلدين . وقد شاد أركان هذه الطريقة ، وأقام  
رسومها ، وأبدى فوائدها ، وأظهر فوائدها ، ومسحه الله من حرائر  
الغيب ، مالا يدخل تحت حصر

ولكن رعم كثرة التأليف ، فإن الشيخ البكري حين يذكر ، مباشرة  
ورد « سحر » وإذا ذكر ورد « سحر » يذكر مباشرة الشيخ البكري

وهو حقاً ورد مبارك . شرحه الشيخ الكرى نفسه ثلاثة شروح  
كما سبق ، وشرحه كثير غيره ، ومن خيار الدين شرحوه : الشيخ  
الشرقاوى ، والشيخ عمر الشبراوى رضى الله عنهما  
وفى مقدمة هذا الورد يقول الشيخ الكرى .

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أورد من أراد المقام المورود ، وحصى أهل الأوراد  
العباد بفتحات الجود ، ومسحهم من الوردات الإلهية مارقاهم ، به  
إلى مازن السعود . أحمده على ما فصل به من ملازمة الأوراد ،  
مع كمال الأدب والشهود وأصلى وأسلم على الحبيب الشاهد المشهود ،  
صاحب المقام المحمود ، والى الدوام المعقود ، الذى عرفنا ما نقول من  
الأدكار فى المقام والركوع والسجود ، ﷺ وعلى آله وأصحابه ،  
دوى المنهل المقصود ، وعلى لتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ما اهترت  
من الأغصان قدود وسلم تسليماً كثيراً ما دام الوجود .

أما بعد . فاعلم أيها المريد الملازم على اقتطاف أزهار الأوراد ،  
من رياض الأمداد ، فى حصرات الإسهاد أنى لما رأيت النفوس  
متعشقة فى ذلك ، رابعة فيما هالك ، تنوير المسالك : تمسك  
أن تصنع لإلاخوان وردا يقتبسون من نوره عجائب فى حدى  
الأوهام<sup>(١)</sup> ، ويتلقون من تفريد مشروره<sup>(٢)</sup> عرائب تدق على الأفهام ،

(١) ظلمات الأوهام

(٢) أى تفريد طائر معروف بحسن صوته .

فشرعت في ذلك معتمداً على السيد امالك ، فأقول في ترجمته ،  
راجياً فيض فضله ومثته :

هذا ورد يشي في السحر ، نافع إن شاء الله تعالى - لمن واطب  
عبيه ، مع التدبر لمعانيه ، والفهم لمبانيه ، فتح به على العبد الفقير ،  
والعاجز الحقير : مصصمى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن محيى  
الدين ، الصديقى سبياً ، الخلوتى طريقة ، الحفى مذهباً وكان ذلك  
فى أوائل شهر ربيع الأول ، أيام زيارتنا لبيت المقدس ، وكمل فى  
مجلس لطيف ، وأضفت إليه بعد ذلك قصيدة ميمية ، فتح على بها  
سابقاً ، وصلوات على النبى ﷺ - ردتها الآد ، وقصيدتى التى  
سميها . « بالمبهجة فى الطريقة المسلحة ، الى على وزن « المفرجة »  
وزدته بعض توسلات ، وقد رتبته على حروف المعجم ، فى أوائل  
توسلاته ، ليكون ذلك أسهل فى حفظ كلماته ، والله أسأل أن يفتح به  
من لارم تلاوته ، ولم يخل مصفاه من دعواته ، إنه ولى من يناديه ، على  
الخصوص فى الأسحار ، بلسان الذل والانكسار فإنه لا يزال معمرًا  
بآلائه وأياديه - فأقول أول ما يبدأ التلى بقوله . أعوذ بالله من الشيطان  
الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم . وتقرأ الفاتحة مرة ، وأوائل سورة  
البقرة ، إلى قوله تعالى . ﴿ الْمُفْلِحُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ، ﴿ وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ  
إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ <sup>(٢)</sup> وآية الكرسى إلى قوله تعالى : ﴿ هُمْ فِيهَا  
خَالِدُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup> وخواتيم البقرة ، ويكرر ﴿ وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾

(١) تقرأ خمس آيات من أول السورة

(٢) الآية . ١٦٣ - من سورة البقرة .

(٣) أى الآيات من ٢٥٥ ٢٥٧ البقرة



(ثلاثا)، ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾<sup>(١)</sup> .. إلى آخرها ويكرر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ آخِرِهَا﴾ (سبعاً) ، وسورة الإخلاص (ثلاثا) والمعوديين .  
 مرة مرة ، ثم يقول : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ (سبعين مرة) ثم يقول أَسْتَغْفِرُ  
 اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا  
 بَيْنَهُمَا مِنْ جَمِيعِ جَرْمٍ وَظُلْمٍ وَمَا جَنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِي وَأَتُوبُ إِلَيْهِ  
 (ثلاثا) ، بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ  
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (ثلاثا) .

ثم يتوالى الورد بحسب ترتيب الحروف الهجائية ففي حروف التاء  
 مثلا يقول :

إِلَهِي تَوَلَّنِي بِأَهْدَايَةٍ وَلِرُعَايَةٍ وَالْحِمَايَةِ وَالْكَفَايَةِ ، إِلَهِي تَبَّ عَلَى  
 تَوْبَةٍ بَصُوحًا لَا أَنْقُصَ عَقْدَهَا أَبَدًا ، وَاحْمِطْنِي فِي ذَلِكَ لِأَكُونَ مِنْ  
 جَمَلَةِ السَّعْدَاءِ .

ويقول في حروف الدال :

إِلَهِي دَاوِبِي بِدَوَاءٍ مِنْ عَمَلِكِ ، كَيْ يَشْتَمِي بِهِ أَلْمَى الْقَلْبِي ، وَأَصْلَحَ  
 مَنِي بِـ مَوْلَايَ طَاهِرِي وَلُبِّي ، إِلَهِي دَلِّي عَنِّي مِنْ بَدَلْنِي عَلَيْكَ ،  
 وَأَوْصَلْنِي إِلَىٰ مِنْ يُوَصِّلُنِي إِلَيْكَ .

ويقول في الميم :

إِلَهِي مَحْضُ ذُنُوبِي بِظَهْوَرِ آثَارِ اسْمِكَ الْغَفَّارِ ، وَاحْ مِنْ دِيْوَانِ الْأَشْقِيَاءِ  
 شَقِيْنَا ، وَارْكَبْهُ عَمَلُكَ فِي دِيْوَانِ الْأَخْبَارِ .

نقول : حياء الشيوخ مصطفى ابكرى إلى القاهرة تسبقه أنواره ،

---

(١) الآيات الأخيرة من سورة التوبة

وكان الشيخ محمد الحصى - إذ ذاك - قد بلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة ، ويقول الشيخ حسن شمة : قدم السيد البكرى من الشام عام ثلاث وثلاثين ومائة وألف ، فكان بمصر رحل من تلامذة السيد هو السيد عبد الله السلفيني ، فأراد الشيخ الحصى الاجتماع بالسيد البكرى ، فسأل السيد عبد الله المذكور أن يجمعه به ، فوجه معه إليه ، فسم عليه ، ثم جلس ، فجعل السيد ينظر إليه ، وهو كذلك ، ينظر إليه ، ومال كل بقلبه جهة الآخر ، وحصل بين القيين ارتباط وتعارف على ما أشير إلى ذلك بقوله عليه السلام « الأرواحُ جنودٌ مُحنّدةٌ » اخبرني ثم إنه قام ، وحسن بين يدي مولانا السيد البكرى ، بعد طلبه للانتظام في سلك طريقته ، فأخذ عليه العهد حلاً ، وكانت عادة السيد إذا أراد أحد الأخذ عنه أمره بالاستحارة قبل ذلك ، وهو لم يأمره بها ، فعنه إشارة إلى شدة الارتباط ، وحين أخذ عنه قيل لبعض عمدة عصره ، وهو الشيخ العام العلامة الحبر الحر الفهامة : الشيخ مصطفى العريزي ، إن الشيخ الحساوي قد أخذ طريق الفقراء ، ومراده يذكر الله تعالى ، ويشتغل عن العجم يريدون بذلك لومه على ما وقع منه :

فقال له . إن الشيخ الحساوي بظمة مطهرة ، من الأصل لا يحتاج إلى ذكر وتذكير ، وإنما يحتاج إلى ذلك أمثالا أهل الأدران . قلت أشار إلى ذلك سيدي عبد الرهاب الشعرائي في المتن فمن حينئذ اشتغل بالذكر والمراقبة والفكر والمجاهدة .

ويقول :

ثم سار في طريق القوم أتم سير حتى لقيه الشيخ العارف أستاذنا

السيد البكرى الصديقى ، الاسم الأول ، والثانى ، والثالث ؛ ومن حين أحد عليه لم يقع منه فى حق الشيخ إلا كمال الأدب ، والصدق التام وهو الذى قدمه وبه ساد أهل عصره ، فمن ذلك أنه كان لا يتكلم فى مجلسه أصلاً إلا إذا سأل ، فإنه يحبه على قدر السؤال ، ولم يزل يستعمل ذلك معه ، حتى أذن له بالتكلم فى مجلسه ، فى بعض رحلاته إلى القاهرة ، ومسيه : لما رأى إقبال الناس عليه ، وتوجههم إليه ، قال له انبسط إلى الناس واستقبلهم :

لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمر النعم ،

ومن آدابه وامثاله لأمر السيد شيخه أنه قال له مرة .

تعال النبيلة مع الجماعة ، وادكروا عمدنا فى البيت ، فلما دخل الليل برل مطر شديد ، فذهب أستاذى إليه حائياً ولمطر يسكب عليه وهو يخوض فى الوحل ، فقال له :

كيف جئت فى هذه الحانة ؟

فقال يا سيدى إنكم أمرتمونا بالمجيء ، ولم تقيده بعدر ، وأيضاً لا بعدر ، والخلقة هذه لإمكان المحيى وإن كنت حائياً

فقال له أحسنت ، فهذا أول قدم فى الكمال والصدق .

وكان جالساً معه وهو يحرق فى الصلاة على خير البرية فتشاءب أسادى ، فقال له كيف تشاءب وأنت فى هذه الحضرة ؟ ماذا صنعت حتى دخل معك الشيطان ، فإن الثأوب من الشيطان ؟ وحصرة الشيخ حصرة الله تعالى ، وحصرة الله لا يدخلها الشيطان ؟

ثم قال له . إما في هذا المجلس ، أو في مجلس آخر ، إن التائب  
على قسمين :

إما من الشيطان ، وإما من غلبة نوم أو كسل ، فلما علم صدق حله  
وحسن فعاله قدمه على حلمائه ، وأولاه حسن ولائه ، ودعاه بالأح  
الصادق . ومحه أسراراً . وأراه عيون الحقائق ، فمن ذلك أنه ذكر في  
رحلته المصرية ما يدل على أنه أعطاه الاسم الأعظم « أ هـ » ويقول :

« قلت وبعد تلقيه الاسم الثالث كما تقدم سافر شيخه السيد  
الصدقي إلى بيت المقدس ، فلما كان عام تسع وثلاثين توجه السيد  
من بيت المقدس قاصداً الحجار للحج ، فأرسل مكتوباً في أثناء  
الطريق ، وفيه دائرة فيها اسم « حق » وكتب له . برر الإذن الإلهي  
بأن تكون حليلة عا ، وتأخذ العهد ، وتلقى الذكر وتربي  
المريدين . »

أذن لشيخ الكرى لشيخ الحفي بأخذ العهد ، وتلقين الذكر  
وتربية المريدين ، ويحتاج هذا الموضوع إلى شيء من الشرح .

روى الإمام البخاري رضي الله عنه من حديث عبادة بن الصامت  
رضي الله عنه : وكان عبادة شهد بدرًا وهو أحد النقاء ليلة العقبة .  
أد رسول الله ﷺ ، قال ، وحوله جماعة من أصحابه :

« يَا عُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَسْرِقُوا ، وَلَا تَزْنُوا ،  
وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ وَلَا تَأْتُوا بِهَتَّاءٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ  
وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ ، فَمَنْ وَفَى بِكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ، وَمَنْ  
أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعَرِيبٌ هِيَ الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارٌ لَهُ ، وَمَنْ أَصَابَ

مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَمَّا عَنْهُ ، وَإِنْ شَاءَ عَاقِبُهُ ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ »

وروى الإمام أحمد من حديث سلمى بنت قيس ، وكانت إحدى حالات رسول الله ﷺ ، وقد صلت معه إلى القلتين ، وكانت إحدى نساء بني عدي بن المخاري ، قالت

جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ ، نَبَايَعُهُ ، فِي بَسْوَةٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَمَّا شَرَطَ عَلَيْنَا أَلَّا نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا نَسْرِقَ ، وَلَا نَزْنِيَ ، وَلَا نَقْتُلَ أَوْلَادَنَا ، وَلَا يَأْتِيَ بِيَهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا ، وَلَا نَعْصِيهِ فِي مَعْرُوفٍ ، قَالَ : « وَلَا تَعْتَشُشْ أَرْوَاجَكُنَّ »

قَالَتْ . فَبَايَعْنَاهُ ، ثُمَّ أَنْصَرَفَ ، فَقُلْتُ لَامْرَأَةٍ مَنُورٌ : ارْجِعِي فَسَلِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ : مَا عَشْتُ أَرْوَاجِنَا ؟ فَأَنَّهُ ، فَقَالَ « تَأْخُذُ مَالَهُ فَتُحَابِي بِهِ غَيْرَهُ »

ولقد وردت بيعة النساء في « القرآن الكريم » ، بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ ، وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ ، وَلَا يَأْتِينَ بِيَهْتَانٍ يَفْتَرِيهِنَّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ : فَبَايِعِهِنَّ ، وَاسْتَعْمِرْ لَهُنَّ اللَّهُ ، إِنْ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

وهذه بيعة عامة :

---

(١) المتحنة آية ١٢

وقد نكون البيعة بيعة خاصة ، كبيعة الرضوان التي يقول الله تعالى فيها .

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ، فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ، وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾<sup>(١)</sup>

ويقول الله سبحانه وتعالى لرسوله :

﴿إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نُكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُيَوَّدَّتْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(٢)</sup> .

وقد بين رسول الله ﷺ أن البيعة تتخذ صوراً مختلفة ، وذلك أنه ما دام أساسها طاعة الله ورسوله ، فهي بيعة لله تعالى . ومن صور البيعة مثلاً أن يمتشوا الإنسان الحسم في سبيل الله ، أو أن يطلق المدفع جهاداً لعدو . يقول رسول الله ﷺ فيما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه :

« مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ » .

وروى ابن كثير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال :

قال رسول الله ﷺ في الحجر [ الأسود ] :

« وَاللَّهِ لَيُعِثَّنِي عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عِيَانٌ يَنْصُرُ بِهِمَا ، وَلِسَانٌ

(١) المصحح : ١٨

(٢) المصحح : ١٠

يُنْطَقُ بِهِ ، وَيَشْهَدُ عَلَى مَنْ اسْتَلَمَهُ ، بِالْحَقِّ ، فَمَنْ اسْتَلَمَهُ فَقَدْ  
بَايَعَ اللَّهَ تَعَالَى .

ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ .

﴿إِنَّ الدِّينَ يُبَايِعُكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾

قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ بَعْدَ بَيَانِهِ أَنَّ مَنْ اسْتَلَمَ  
الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ تَعَالَى .

كُلُّ هَذِهِ أَلْوَانٍ مِنَ الْبَيْعَةِ ، وَالْبَيْعَةُ أَوْسَعُ مِنْ ذَلِكَ .

وَمَنْ عَاهَدَ الشَّيْخَ فَقَدْ بَايَعَهُ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَمَنْ بَايَعَ عَلَى الطَّاعَةِ  
فَقَدْ بَايَعَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ؛ وَبَيْعَتُ الْبَيْعَةِ عَلَى الصَّاعَةِ الصَّادِقَةِ  
بِأَقْلٍ مِنَ الْبَيْعَةِ عَلَى امْتِثَاقِ الْحَسَامِ ، أَوْ اسْتِلَامِ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ ،  
بَلْ إِنَّ امْتِثَاقَ الْحَسَامِ وَاسْتِلَامَ الْحَجَرِ الْأَسْوَدِ أَجْزَاءُ مِنَ الْبَيْعَةِ عَلَى  
الطَّاعَةِ أَيْ إِنَّ الْعَهْدَ بَيْعَةٌ .

وَيَتَحَدَّثُ الْإِمَامُ الرَّازِيُّ ، الْحُجَّةُ فِي مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ ، صَاحِبُ  
تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْمَعْرُوفِ عَنِ الشَّيْخِ ، وَيَشْتَرِطُ فِيهِ أَنْ يَكُونَ مُحَلِّصًا  
صَادِقًا ، قَدْ انْتَهَجَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَأَنْ يَكُونَ سَالِكًا

« أَمَّا السَّالِكُ فَلَا تَرَى الْوُصُولَ تَارَةً بِالْحَدِيثِ عَلَى مَا قَالَ ﷺ وَالسَّلَامُ  
جَذْبَةٌ مِنْ جَذَبَاتِ الْحَقِّ ، تَوَازَى عَمَلُ الثَّقَلَيْنِ .

وَأُخْرَى بِالسَّلُوكِ .

وَالْأَوَّلُ : لَا يَصِحُّ أَنْ يَقْدَى بِهِ ، لِأَنَّهُ مِثْلٌ مَنْ وَجَدَ كَثْرًا مِثْلَ

عياً ، فإنه وإن كان ذا مال لكنه غير عالم بكيفية اكتساب المال ، فلا يتفح به التلميذ الطالب لتعم كيفية الاكتساب .

وأما الثانى : فهو الذى يصلح لتربية المرید ، لأن من سلكت الطريق ، وعرف مراحبها ومنازلها ، واطلع على متاليفها ، ومعاطبها أمكنه إرشاد الغير إلى سوء السبيل . والإخبار عن كيفية تلك الأحوال على التفصيل .

ومى ذلك يقول الشيخ عبد الواحد يحى :

« لا بد من التصرف من شرط جوهرى هو « التأثير الروحى » أو بتعبير أدق « البركة » وهى لا تنأتى إلا بواسطة « شيخ » .

ومن هنا كانت « الطرق » ومن هنا كانت « السلسلة » ، ( وهل السلسلة إلا بركات تنقل من شيخ إلى مرید يوشك أن يصبح شيخاً ، فيؤثر بدوره فى مرید ، أو مریدين ) .

على أنه لا جدال ، أو يجب أن لا يكون جدال ، فيما رآه سيد الطائفة لإمام الحنيد فى الشروط التى يجب أن تتوافر فى الشيخ ، إنه يقول : لا يستحق لرحل أن يكون شيخاً حتى يأخذ حظه من كل علم شرعى ، وأن يتورع عن جميع المحارم .

وأن يزهد فى الدنيا .

وإذا بشرع فى مداواة غيره إلا بعد فرائعه من مداواة نفسه .

وحتى يكون على علم يهدى به العباد ، وإذا مرض مریده بمسب شهة فى علم التوحيد دواه ، وإذا تحير فى مسألة من مسائل الفقه أفتاه .



ويشترط أن يكون لديه القناعة بالعسى عن الناس ، وأن يحاف  
ويحشى من المعاصي والأدناس .

وأن يلزم العمل بالكتاب والسنة .

بعد أن بين الإمام الحنيد صفات الشيخ ، أخذ بين للمريد ما  
يجب عليه الترامه فى الطريق حتى يسير على هدى فقال :

واياك ومتابعة من لم يكن على غير هذه الصفات ، فإنه من  
جنود لشيطان .

ثم يأمر الجنيد المريد بهذا الأمر الواضح الذى يحمل فى نفسه  
دليل الصدق ويتسم بسمة الحق .

« رن أقواله وأفعاله بميراب الشريعة ، فإن رأيت مه شيئاً محالماً  
للشريع فاتركه حتى وإن كان ذا حال صحيح ، فما عليك فى ردّه  
بحكم الشرع من ناس ولا تتعذه مرشداً » .

ويتحدث ابن عطاء الله رضوان الله عليه ، عن الشيخ ، يتحدث  
عه بأسنوبه الشائق ، وبعارته الحميلة ، وبروحانيته الحذانة فيقول :  
« ليس شيخك من واجهتك عمارته ، وإنما شيخك من سرك  
فيك إشارته » .

وليس شيخك من واجهتك مقاه ، وإنما شيخك من بهض بدن  
حاله !

وليس شيخك من دعاك إلى الباب ، وإنما شيخك من كشف  
بينك وبينه الحجاب .

شبحك هو الذي ما زال يحو مرآة قلبك حتى تتجلى فيها أنوار ربك ، أنهضك مهصت ، ورج بك في نور الحصرة ، وقال لك ها أنت وربك .

ويقول أيضًا في أسبويه المتسم دائما بإشراقه الوصاءة :

« والاقتداء لا يكون بولي مجهول العى ، فى كون الله ، وإنما يكون الاقتداء بولي دك الله عيه ، وأطلعك على خصوصيته ، انطوى عنك شهود بشريته فى وجود خصوصيته ، فألقيت إليه القياد ، وسلك بك طريق الرشاد : يعرفك مكنونك نفسك ، وكائناتها ودقائقها . وبذلك عى الجمع على الله ، ويعلمك الفرار عما سواه ويسايرك حتى تصل إلى الله .

أما الشيخ شهاب الدين السهروردى صاحب الكتاب الجميل النفيس « عوارف المعارف » فإنه يقول :

ولابد للمريد من شيخ مرشد إلى الحق ، يرشده وبقه الذكر ، وينقى فى روعه سور ، فإن تيقن الشيخ ينقى باطن المريد ، ويسرى فيه كائنا ينقى من سراح ، فعلى المريد اختبار الشيخ الصالح لمشهود له بالعلم والمعارف ، واتقاء المحارم .

ويعود إلى الشيخ لطفى : لقد وجد بخطه ما يلى .

« هذه صورة أحد لعهد أرسبها إلى أستاذى وملاذى السيد الكرى الصديقى الحلوتى حين أدن لى بأحد العهود على طريق السادة الحوئية ونص ما كتب : « كيفية المداينة للنفس الطائفة . يحسن المريد لتولى الحميد بين يدى الأستاذ الذى به لاذ ، وينصق ركبته بركبته متعلقاً

بموده وعجته ، والشيخ مستقبل القبلة لأنها جهة الوصية ، ويقرأ فاتحة للأبواب الإمدادية فاتحة ويضع يده اليمنى في يده مسما له مستمداً من مداده ، ويقول له المربي الألعى قل معي : أستعفر الله العظيم ، أستعفر الله العظيم ، أستعفر الله العظيم ، ويتعود ويقرأ آية التحريم .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا ، عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا وَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَكُمْ عَنَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (١) .

ثم يقرأ آية لمبايعة التي في الفتح ليرول الاشتباه ، اقتداءً برسول الله ﷺ وهي :

﴿إِنَّا الْإِسْلَامَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَنَىٰ نَفْسِهِ ، وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنْ أَجْرٍ أَعْظَمًا﴾ (٢) .

ثم يقرأ الفاتحة ، ويدعو الله تعالى لنفسه ، وللاخذ بالتوفيق ويوصيه بالقيام بأوراد الطريقة والدوام على ذوق أهل هذا المرق ، وعرض الحواطر ، وقص الروايات العواطر ، وإذا وقعت الإشارة بتلقيق الاسم

(١) التحريم ٨ .

(٢) الفتح : ١٠ .

الثاني لقنه ليبغ الأمامي ، وفتح له باب توحيد الأفعال إذ لا غيره فعال  
وفى الثالث توحيد الأسماء ليشهد اسر في الأسماء .

وفى الرابع توحيد الصفات ليدرجه إلى أعلى الصفات ؛ وفى  
الخامس . توحيد الذات ليحظى بأوفر اللذات .

وفى السادس ، والسابع . يكمل له التواضع ، وسأل الله تعالى  
اهداية والرعاية والعناية والدراية ، والحمد لله رب العالمين

ويزيد الشيخ احقنى الأمر إيضاحاً فى هذا الموضوع عن شيخ  
الإسلام العارف بالله الشيخ الأنصارى فيقول

« ثم رأيت فى الفتوحات الإلهية فى صف أرواح الذوات الإنسانية  
وهو كتاب نحو كراس شيخ الإسلام ركريا الأنصارى مانصه :

« وإذا أراد الشيخ أن يأخذ العهد على المريد فليتطهر ، وليأمره  
بالتطهر من الحدث والحيث ، لتهيئ لقبول ما يقيه عليه من الشروط  
فى الطريق ، ويتوجه إلى الله تعالى ، ويسأله القبول هما ، ويتوسل  
إليه فى ذلك بمحمد ﷺ ، لأنه لواسطة بينه وبين خلقه ، ويضع  
يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يضع راحته على راحته ويقض  
بهامه بأصابعه ويتعوذ ويسمى ، ثم يقول .

الحمد لله رب العالمين . أسغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو  
الحقُّ القبوم وأتوب إليه ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه  
وسلم .

ويقول المريد بعده مثل ما قال ، ثم يقول له قل .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ وَأُشْهِدُ مَلَائِكَتَكَ وَأَنْبِيَاءَكَ وَرُسُلَكَ وَأَوْلِياءَكَ  
أَنِّي قَدْ قَبِلْتُ شَيْخًا لِي فِي اللَّهِ وَمُرْشِدًا وَدَاعِيًا إِلَيْهِ .

ثم يقول الشيخ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُكَ ، وَأُشْهِدُ ، مَلَائِكَتَكَ وَأَنْبِيَاءَكَ  
وَرُسُلَكَ وَأَوْلِياءَكَ أَنِّي قَدْ قَبِلْتُ وَلَدًا فِي اللَّهِ ، هَاقِلُهُ وَأَقْبَلُ عَيْدِهِ  
وَأُصَحِّحُ بَنَاهُ ، وَاهْدِنَا وَاهِدُ بَنَاهُ ، وَارْشِدْنَا وَارْشِدْ بَنَاهُ ؛

اللهم أَرِنَا الْحَقَّ حَقًّا وَأَهْمًا وَتَعَاوَاهُ ، وَأَرِنَا الْبَاطِلَ بَاطِلًا وَزُرْقًا  
اجْتِنَاهُ .

اللهم اقْصَعْ عَنَّا كُلَّ قَاطِعٍ يَقْطَعُنَا عَنْكَ ، وَلَا تَقْطَعُنَا عَنْكَ ، وَلَا تَشْغَلْنَا  
بَعِيرِكَ عَنْكَ « ا هـ » أَمَّا الْأَسْمَاءُ السَّبْعَةُ الَّتِي تَنْفَعُ لِمُرِيدٍ ، فَإِنَّ الصُّوفِيَّةَ  
عَلَى وَجْهِ الْعُمُومِ يَرْبِطُونَهَا بِسِيرِ النَّفْسِ مِنْ ابْعَدَ عَنْ اللَّهِ إِلَى الْقَرَبِ  
مِنْهُ ، وَمِنْ مَعْصِيَةِ إِبْنِ السُّوَيْهِ ، وَمِنْ اطِّعَاةِ إِلَى الْقَرَبِ ، وَالنَّفْسُ فِي  
أَحْوَالِهَا الْمُخْتَلِفَةِ وَهِيَ سِيرُهَا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تَتَسَمَّى بِصِفَاتٍ ، وَهَذِهِ الصِّفَاتُ  
ذَكَرْتُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ ، وَهِيَ تَطْلُقُ عَلَى النَّفْسِ مُحَدَّدةً بَعْدَهَا وَقَرِيبًا  
وَسِيرُهَا فِي مَرَاتِبِ الصِّفَاءِ ، وَتَحْدُدُ بِالتَّارِ بَعْدَهَا وَقَرِيبًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى .  
وَالْأَسْمَاءُ الْأُولَى مِنَ الْأَسْمَاءِ السَّبْعَةِ هِيَ .

« لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »

وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ عَلَى لِسَانِ امْرَأَةٍ الْعَرَبِ :

﴿وَمَا أُرَى نَفْسِي إِلَّا لِنَفْسٍ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَرْجِمٌ رُبِّي ، إِنْ  
رُبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١) .

(١) يوسف ، ٥٣ .

وإذا كانت رحمة الله تعالى تأتي أحياناً اجتناء ، وتأتي أحياناً  
إنابة :

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾<sup>(١)</sup>

وإذا كان الاجتناء بمصل وكرم ، وإذا كانت الإنابة تحتاج إلى  
وسائل . فإن من وسائل الإنابة : الذكر بـ « لا إله إلا الله »  
والاسم الأول تثبيت للتوبة ، واستكمال لها : هداية ونوراً .  
ويقول رسول الله ﷺ .

« أَفْصَلُ مَا قُلْتُهُ نَا وَالسَّيُّونَ مِنْ قَبْلِي : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ »

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاسْتَعِذْ لِنَفْسِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ،  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَتَوَاكُمُ﴾<sup>(٢)</sup> .

والثاني : « الله » .

وتسمى فيه النفس لوامة ، يقول الله تعالى :

﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَمَةِ﴾<sup>(٣)</sup> ﴿٤﴾

والثالث : « هو »

وتسمى فيه نفس ملهمة ، يقول الله تعالى :

---

(١) الشورى : ١٣

(٢) محمد - ١٩٠

(٣) القيامة : ١ ، ٢

(٤) واللوامة هي الدمة على الشر إذا فعلته ، والاسفة على الخير لم لم تستكثر منه

﴿قَالَ هَمَّا مُجُورٌ مَّا وَتَقَوَّا هُمَا﴾<sup>(١)</sup> .

والرابع : « حق »

وهو أول قدم يحبه امريد من الولاية - « كما مرّت الإشارة إليه » ،  
تسمّى النفس فيه مطمئنة ، يقول الله تعالى :

﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾<sup>(٢)</sup> .

والخامس : « حى »

وتسمّى النفس فيه راضية ، يقول الله تعالى :

﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾

والسادس : « قيوم »

وتسمّى النفس فيه مرضية ، والله تعالى يقول :

﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً﴾

والسابع . « قهار »

وتسمّى النفس فيه كامله ، وهو عايه التلقين ، وكنها يلقي فى  
الأذن اليمى ، إلا السابع ، هى اليسرى ، وتنقيها بحسب ما يراه  
الشيخ من أحوال المريدين .

وبذلك تكون النفس قد وصلت إلى التزكية التامة ، ووصلت  
بذلك إلى العلاج ، ودخلت فى نطاق قوه تعالى

---

(١) الشمس ٨٠

(٢) الفجر : ٢٧ ، ٢٨ .

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾<sup>(١)</sup>

وفى نطاق الحديث لشريف الذي يتجه فيه صلوات الله وسلامه  
عليه ، إلى الله قائلاً :

« اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ رَكَّاهَا ، أَنْتَ  
وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا » ورسول الله ﷺ حين يدعو بهذا الدعاء ، مع  
ما هو معروف من أنه إمام المتقين ، ومن أن نفسه زاكية فإنما يهدف  
رسول الله ﷺ إلى توجيه الأمة نحو الإقبال على الله سبحانه وتعالى ،  
والأخذ بذلك في طريق الكمال .

لقد ارتبط الشيخ الحصى بشيخه العارف بالله الشيخ البكرى ،  
برباط وثيق ، لقد فيه شيخ البكرى . فيه بعينه ، وفيه بورعه ،  
وفيه بتقواه ؛ لقد فتنه عالماً ، وفتنه عادياً ، وفتنه مبهماً ، وفتنه  
نوراً وضياءً .

« وحينما سافر الشيخ البكرى عائداً إلى بيت المقدس كانت روح  
الشيخ الحصى متعلقة به تعلقاً شديداً

يذكره إذا أشرق الصبح ، ويذكره في الأصال ، ويذكره إذا  
هبت نسائم السحر ، ويذكره إذا جنت الليل

وهو حينئذ يذكره فإنما يذكره كقمة من القمم التي تهدي إلى  
الله ورسوله ، وتوجه إلى القرآن الكريم حفظاً وفهماً ، وتدبراً  
واتباعاً ، وتهدي إلى سمة رسول الله ﷺ : تأسيًا واقتداءً ، وترشد

(١) الشمس : ٩ .



إلى طريق القرب من الله تعالى ، ونشرح مآزل السَّائرين ، ومدارج السَّالِكين ، ومعارج انقِـدس ، ومآزل الأرواح في سيرها في درجات الصَّلاح ، وتشوق الشيخ إلى مُستاده ، فوجهه الله إلى السرِّ إليه ، وعن ذلك يقول الجبرني نقلاً عن كتاب المجموع للشيخ حسن بن علي المكي :

« لما أدب له السيّد الكرى بأحد العهود وتنقّين الدُّكر لم يقع له تسبُّك أحد في هذه لطريقة ، إمّا كان شغله وتوجهه كنه إلى العلم وإقراءه ، لكن ذلك بحسبه ، وأمّا قلبه فلم يكن إلا عند شيخه السيّد النصِّيقى ، ولم يزل كذلك إلى عام سبع وأربعين فحين جسمه إلى زيارة شيخه وأنشد لسان حاله :

« حديم فؤادى وهو بعضى فما الذى يصرُّكم لو كان عندكم الكل فأرسل إليه السيّد يدعوه لزيارته ، فهام إذ فهم رمز إشارته ، وتعجّبت نفسه بالرحيل فترك الإقراء والتدريس وتقسّف رسافر إلى أن وصل بالقرب من بيت المقدس فقبل له :  
« إذا دحيت بيت المقدس فادخل من الباب لفلاى وصل ركعتين وزر محل كذا »

فقال لهم « أنا ما حثت فاصداً بيت المقدس ، وما حثت قاصداً إلا أستاذى فلا أدخل إلا من بابه ولا أصبى إلا في بيته » فمحبوا له صبغ السيّد كلامه ، فكان سبباً لإقباله عليه وإمداده ، ثم سار حتى دخل بيت المقدس فتوجه إلى بيت الأستاذ ، فقابله

بالرحب والسعة ، وأفرد له مكاناً ، ثم أخذ في امجاهدة من لصلاة والصوم والذكر والعزلة والخدوة ، قال : فيمَا أنا جالس في الحلوة إذا بداع يدعوى إليه فجئت إليه فوجدت بين يديه مائدة . فقال : أنت صائم قلب نعم . فقال . كل فامتثل أمره وأكل ، فقال « اسمع ما أقول لك إن كان مرادك صوماً وصلاة وجهاداً أو رياضة فليكن ذلك في بلدك ، وأما عدنا فلا تشتغل بغيرها ولا تقصد وقتك بما تروم من مجاهدة ، وإما يكون ذلك بحسب الاستطاعة وكل واشرب واتيسط » .

قال : « فامتثلت إشارته ومكثت عنده أربعة أشهر كأنها ساعة غير أنني لم أفارقه قسط حلوة وجلوة »<sup>(١)</sup> . ومسحه في هذه المرة الأسرار وحلج عبيه حلج القبول ، وتوَّجه بتاج البرهان وأشهده مشاهد الجمع الأول والثاني ، وفرق له فرق الفرق الثاني ، فحار من التذاني أسرار المثاني ، ثم لما انقضت امدة ، وأراد العود إلى القاهرة ودعه وما ودَّعه ، وسافر حتى وصل إلى غزة فبلغ خبره أمير تلك لقرية ، وكانت الطريق محيطة ، فوجه معه قافلة ببيروق من العسكر فساروا فلقبهم في أثناء الطريق أعراب مخافوهم فقاتلوا لأهل القافلة : لاتخافوا فلبسوا من قطاع الطريق ، وإن كنا منهم فلا نقدر أن نكنكم وهذا معكم » وأشاروا إلى الشيخ ، ولم يراوا سائرين حتى انتهوا إلى مكان في أثناء الطريق بعد مجاوزة العريش بسحو يومين ، فقبل هم . إن طريقكم هذا غير مأمون الخطر ، ثم

(١) حواء وجلوة أي في محاسن الخاصة والعامة ، يعنى في السر والعلن

تشاؤروا فقال لهم أعراب ذلك مكان . نحن نسير معكم وبسلك  
بكم طريقاً غير هذا . ولكن اجعلوا لنا قدراً من الدراهم بأحده  
مستمك إذا وصلتم إلى بليس ، فتوقف لركب أجمعه . فقال الأستاذ  
« أنا أدفع لكم هذا القدر هالك »

فقالوا . « لا سبيل إلى ذلك . كيف تدفع وأنت ليس لك في  
القافلة شيء ؟ والله ما نأخذ منك شيئاً إلا إن صممت أهل القافلة »  
فقبل ذلك فاتفق الرأي على دفع الدراهم من أرباب التجارات بصماتة  
الشيخ ، فصممهم وساروا حتى وصلوا إلى بليس ثم منها إلى القاهرة  
فسرّت به أتم سرور . وأقبل عليه الناس من حيث لا يهتدون ، ودانت  
لطاغته الرقاب وأخذ العهود على العالم ، وأدار مجالس الأذكار بالليل  
والنهار ، وأحيا طريق القوم بعد دروسها وأنقذ من ورطة الجعل مهنجاً  
من عي نهرها . بلع هديته الأقطار كلها وصار له في كثير من قرى  
مصر ثقب وحليمة وتلامذة وأتباع يذكرون الله تعالى . ولم يزل أمره  
في ازدياد وانتشار حتى بلغ سائر أقطار الأرض وصار الكبير والصغار  
والساء والرجال يذكرون الله تعالى بطريقته ، وصار حليمة الوقت  
وقطبه وم يبق ولي من أهل عصره إلا أذعن به ، وحين تصدى للتسليك  
وأخذ العهود أقبل عليه الناس من كل فج وكان في بدء الأمر لا  
يأخذون إلا بالاستشارة والاستشارة ، وكتابة أسمائهم ونحو ذلك ،  
فكثر الناس عنده وكثر الطلب ، فأحير شيخه السيد الصديق بذلك  
فقال له . « لا تسمع أحداً يأخذ عنك ، ولو بصرايا من غير شرط »  
وأسلم على يديه خلق كثير من البصري ، وأول من أخذ عنه الطريق  
وسلك على يديه أنولى الصوفى العلامة المرشد الشيخ أحمد الباء الفوى

وفي وفاة السيد البكري ، يقول الشيخ حسن المكّي .

« ثم حج مولانا السيد الصديقي عام إحدى وستين ومائة وألف وعاد من الحجاز إلى القاهرة ، فمرض عقب دخوله مدة شهر فحان مويد السيد البدوي ، فأراد الشيخ أستاذنا أن يتحلف عن الذهاب إليه لأجل السيد ، فأشار له بعدم التحلف فتوجه أستاذنا إلى المود الشريف ، فتوفي السيد الصديقي ، وهو في المولد ليلة الثاني عشر من شهر ربيع الثاني عام اثنين وستين ومائة وألف ، ودفن بالقرافة الكبرى ، خارج القاهرة وقبره هناك مشهور . وزيارته تضاعف الأجور ، وقد عمل له أستاذي في شهر شعبان من العام مولداً عظيماً شئت إليه الرجال ، وحطت لديه الثقال ، وتطاوت دونه الآمال ، وعزم على ترتيب ذلك كل عام » .

هذه عن الطريق الخاص .

أما النوع العام تترمه كل الطرق فإنّ لشيخ فيه لمحات حميدة يكتبها بنفسه أو يقلها عن غيره .

### الطريق الصوفي العام :

بما اتفق عليه أئمة التصوف من قدماء ومحدثين ضرورة العمل بكتاب الله وسنة رسوله ، ولأئمة التصوف في ذلك مالا يكاد يخصى من المصوص التي تختلف في اللفظ ، وتتحد في المعنى ، إنهم يرون أن .  
« محل جوار العمل بما ألهم به الولي في نفسه وعيره إن وافق الشريعة ، فإن لم يجده مصوصاً في الشرع ترك العمل به في نفسه وعيره »<sup>(١)</sup> .

(١) حاشية الحصى على الجامع الصغير ج ٢ ص ١١٧ .

وتبدأ الطرق جميعها في التوجه إلى الله تعالى بالتوبة الصادقة  
وللتوبة في الحو الإسلامي مكانة كبيرة ، وقد فتح الله أبوابها  
على مصاريحها للتائبين في الليل والنهار ، وفي كل وقت وحين :  
« يَا عِبَادِيَ إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ  
جَمِيعًا ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ » (١) .

ويقول عليه السلام :

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَسْطُرُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَسْطُرُ  
يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا » (٢) .  
والتوبة المقصودة هنا هي : التوبة التي استوفت أركانها وشروطها ،  
يقول الإمام النووي عن شروط التوبة الصادقة :

قال العلماء :

التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين  
الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي فيها ثلاثة شروط :

أحدها : أن يقلع عن المعصية .

والثاني : أن يندم على فعلها .

والثالث : أن يعزم ألا يعود إليها أبدًا ، فإن فقد أحد الثلاثة

لم تصح توبته

(١) من حديث مسلم صحيح ، رواه أبو در جندب بن جادة عن النبي صلى الله عليه  
وسلم فيما يروى عن الله بآرك وتعالى وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ، والإمام مسلم في صحيحه عن أبي موسى رضى

الله عنه

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة ، هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حى صاحبها ؛ فإن كانت مالا أو نحوه رده إليه ، وإن كان حذ قدف ونحوه مكنه مه ، أو طلب عفوّه ، وإن كان عيبة استحلّه منها .

ويجب أن يتوب من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب ، وبقي عليه الباقي .  
وقد تطاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة « أ هـ .

ويقول رسول الله ﷺ ، فيما رواه ابن عمر :  
« تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ » .  
وحسبنا كتب الشيخ الحمصي على هذا الحديث الشريف في حاشيته على الجامع الصغير ج ١ ص ٤٠٥ قال :  
(قوله . تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ) خطاب لكل الناس سواء .  
« العوام » ، وتوبتهم الرجوع عن الذنوب .  
« والخواص » ، وتوبتهم الرجوع عن الغفلة عن طاعة الله ،  
والاشتغال بالدني ، ولو أمراً مباحاً .

وحواص الخواص ، وتوبتهم الرجوع عن الالتفات إلى ما سواه تعالى ، فأقسام التوبة ثلاثة ، وتوبته ﷺ ليست من الثلاثة ، بل إنه إذا ترقى إلى مرتبة تاب من التي قبلها بمعنى أنه ينسب نفسه إلى التقصير حيث لم يبدل الجهد في الوصول إلى تلك المرتبة التي وصل إليها .

وقوله : « مائة مرة » للتكثير ، فلا ينمى لزيادة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾<sup>(١)</sup> أى أو ألف مرة - مثلاً - فلن يعمر الله لهم فلا مفهوم للتقييد بالسبعين على أن الإنسان قد يقع فى الإثم ، فإذا ما فعل فلا يئس من روح الله ويجب عليه أن يجدد التوبة صادقاً محلياً

وهى حاشية الحنفى عند كتابته عن قول رسول الله ﷺ : « إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَخْبِثْ عِنْدَهَا تَوْبَةً ، لَسِرَّ بِالسَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ بِالْعَلَانِيَةِ »<sup>(٢)</sup> .  
يقول :

(قوله السرُّ بالسُّرِّ يصحُّ بصحهما ورفعهما ، أى إذا وقع منه ذنب فى السرِّ ، بأن كان قبيحاً ، كالعزم على المعصية ، أو كان بدجوارح وم يطعم عليه أحد ، يطلب أن يتوب توبة فى السرِّ ، لتحصل المناسبة بين المكفر والمكفر ، ليكون كاللدواء فى المرض الحسى ، فإن كل مريض له دواء يناسبه ، هذا هو الأولى ، وإلا فتوبة السرِّ تكفر ذنب العلانية ، وبالعكس لكن الأولى المناسبة ، ولذا يطلب ممن عصى فى مكان ، أن لا يفارقه حتى يعمل فيه عملاً صالحاً ، ليعادل لدب ، وربما غلب العمل الصالح ، فيشهد له به ، ولا يشهد عليه بما وقع منه ، من المعصية فيه ، ويطلب ممن ارتكب ديباً أن لا يزال شيئاً من شعره وطفره ، حتى يكفره بحو التوبة<sup>(٣)</sup> .

(١) التوبة ٨٠

(٢) الإمام أحمد فى الزهد ص عطاء مرسل

(٣) حاشية الحنفى ج ١ ص ٧٩

وينقل الحنفى عن الشاذلى وعن غيره ، رضى الله عنهم أجمعين ،  
ما يلى :

« وقال العارف بالله الشاذلى رضى الله عنه :

« كل شهوة تدعوك إلى الرغبة فى مثلها فهى عدو الشيطان  
وسلاحه ، وكل شهوة تدعوك إلى طاعة الله والرغبة فى سبيل الخير  
فهى محمودة ، وكل حسنة لا تثمر ثورا أو علما فى الوقت فلا تعد  
لها أجرا ، وكل سيئة أثمرت خوفا وهربا إلى الله ورجوعا إليه فلا  
تعدها وزرا » اهـ .

ومن مقام العارفين ما حكى عن الإمام أبى محمد النيسابورى  
أنه دخل المسجد مرة يعتكف فى رمضان ، فرأى المتعبدين يجتهدون ،  
والقراء يقرءون فقطع الاعتكاف وخرج فقيل له فى ذلك ، فقال :  
لما ريت تعظيمهم بعبادتهم واعتمادهم عليها دون الله لم يسعى  
إلا الخروج خوفا من نزول البلاء عليهم .

وينقل عن أبى العباس المرسى رضى الله عنه ما يلى :

قال المرسى :

كنت جالسا بين يدى أستاذى الشاذلى ، فدخل جماعة فقال :  
هؤلاء الأبدال فنظرت يصيرى فلم أرهم أبدا فتحيرت  
فقال الشيخ : من بدلت سياته حساسات فهو يدل فعلمت أنه  
أول مراتب البدلية .



## الذكر

بعد أن يأخذ الشيخ على المريد عهد الله على التوبة الصادقة ،  
يوجهه إلى الذكر .

والشيخ اخصى يتحدث كثيراً عن الذكر ، ولقد ألف فيه رسالة ،  
وكتب عنه ها ، وهناك هي كثير من كتبه ، وقبل أن نتحدث عن  
آرائه في لذكر نقول :

إن الذكر هو أساس الوصول إلى الله تعالى ، ومن أجل ذلك  
فإن كل الطرق الصوفية تعطى للذكر عناية خاصة ، وكلها تذكر  
أسماء معينة لله تعالى ، يُردها المريد آلاف المرات ، وينتقل فيها من  
اسم إلى اسم ، بحسب توجيه شيخه ، وذلك فصلاً عن الذكر بالقرآن  
المكريم ، وبالصلاة على رسول الله - ﷺ - وبغير ذلك من ألوان  
الذكر ، كالتهيل والتسبيح والتكبير وغيرها

يقول الإمام القشيري :

والذكر ذكر قوى في طريق الحق - سبحانه وتعالى بل هو  
العمدة في هذا الطريق ، ولا يصل أحد إلى الله إلا بسوام الذكر  
والذكر على ضربين :

ذكر للسان ، وذكر للقلب .

وذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب ، والتأثير

لذكر القلب ، فإن كان العبد ذاكرًا بلسانه وقلبه ، فهو الكامل في وضعه في حال سلوكه .

ولم يتحدث الصوفية عن الذكر ، بالأسلوب الثرى فحسب ، وإنما تحدثوا عنه شعراً جميلاً ، ومن ذلك ما كان الشبلي يُنشد في مجلسه :

ذكرتك ، لا أنى نسيتك لحظة      وأيسر ما في الذكر ذكر لسانى  
وكدتُ بلا وَجْدٍ أموتُ من الهوى      وهام على لقلب بالخفقانِ  
فلما أرائى الوجدُ أنك حاضرى      شهدتك موجوداً بكل مكانِ  
فخاطبتُ موجوداً بغير تكلمٍ      ولاحظت معلوماً بغير عيانِ  
ومن خصائص الذكر ما ذكر الإمام القشيري ، من أنه :

غير مؤقت ، بل ما من وقتٍ من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله : إما مرصاً وإما بدءاً ، والصلاة - وإن كانت أشرف العبادات - فقد لا تجوز في بعض الأوقات ، والذكر بانقرب مستدام في عموم الحالات .

والصوفية في موقفهم هذا من الذكر إما يتابعون ما أمر الله سبحانه وتعالى به ، وما حث عليه في كتابه الكريم - إن الله سبحانه وتعالى يصف أولى الألباب فيقول :

﴿لَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَىٰ جُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾<sup>(١)</sup> .

(١) آل عمران ١٩١ .

ويقول الإمام القشيري :

ومن خصائص لذكر أنه جعل في مقابته الذكر ، قال الله تعالى :  
﴿ فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾<sup>(١)</sup> .

ويقول الإمام القشيري :

« وفي خبر أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ :  
إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ :

« أُعْطِيتُ مَمَّا لَمْ أُعْطِ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ .. فَقَالَ : وَمَا ذَاكَ يَا  
جَبْرِيلُ ؟ فَقَالَ : قَوْلُهُ تَعَالَى ( فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ) لَمْ يَقُلْ هَذَا لِأَحَدٍ  
غَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ .

ولقد استفاض رسول الله ﷺ ، في الحديث عن الذكر استفاضة  
ملأت كتباً بأكمها ، وألفت في ذلك كتب كثيرة ، وأبواب مستهضة  
في كتب السنة .

لقد تحدث رسول الله ﷺ عن الذكر في صورة الاستغفار ،  
وعن الذكر في صورة الصلاة على الرسول ﷺ وعن الذكر في  
صورة التسبح ، وعن الذكر في صورة الحمد ، وعن الذكر في  
صورة التكبير ، وعن الذكر بلا إله إلا الله ، وعن فائدة الذكر  
وحدث رسول الله ﷺ على الذكر ، وأبان أن مجالس الذكر  
إنما هي رياض من رياض الجنة .

ومن الحق أن نقول مع الإمام القشيري :

---

(١) البقرة ١٥٢

إن الذكر هو العمدة في طريق القوم .

ونعود ثانية فنقول إنما قل أن تحدث عن آرائه في الذكر ينبغي  
لكل قارئ لكاتب الصوفية فيما يتعلق بمقام « الرجاء » ولكل قارئ  
لكتب أبي الأنوار أن يتأمل شرحه للحديث الشريف التالي .  
قال الله تعالى « إني أنا الله لا إله إلا أنا ، من أقر لي بالتوحيد  
دخل حصني ، ومن دخل حصني أمن من عذابي » . الشيرازي  
عن علي .

(قوله من أقر لي بالتوحيد) نأمن من قال لا إله إلا الله معتقدا  
معاها . وفضله مشهور ، فإن من قالها ولارمها تحات خطاياها ،  
ودخل ساحة ارض ، والأحاديث الدالة على التعريب في ذلك لا ينبغي  
الاغترار بظاهرها ، بأن ينهمك في المعاصي ، ويقول : أنا أقول .  
« لا إله إلا الله » فتعفر ذنوبي ، لأن المقصد من تلك الأحاديث ،  
إنما هو مع الشخص من اليأس ، وإلا فأهل الله تعالى لا ينفكون  
عن مقام الخوف وإن بلعوا ما بلعوا ، ولذا دخل حماد على سفيان  
الثوري يزوره ، وهو مريض ، فقال سفيان : أيعفر لي ربي مع  
تقصيري هذا ؟

فقال له حماد : إن خيرت بين محاسبة ربي لي ، ومحاسبة والدي  
لي ، اخترت محاسبة ربي لأنه تعالى أرحم بي من والدي ، فقد  
خفف عنه الخوف رضى الله تعالى عنهما<sup>(١)</sup> .

وهذا الشرح لهذا الحديث الشريف نموذج واضح لشرح مقام

(١) محاسبة اخفى على الجامع الصغير ج ٢ ص ١٦١

الرجاء ويؤيده في قوة ما ورد في هؤلاء القوم الذين تكاسلوا عن العمل وقالوا : نحن نحسن الظن بالله ، ويرد عليهم رسول الله ﷺ فيقول :

وكذبوا : لو أحسوا الطر لأحسنوا العمل .

وبعد : فيها هي ذى فقرات مما كتب أبو الأنوار عن الذكر تعقبها رسالته الخاصة بالموضوع بقول رسول الله ﷺ

« إذا استيقظ الرجل من الليل ، وأيقظ أهله ، وصلبا ركعتين كتباً من الذاكرين والداكرات »

(قوله من لداكرين) أى بعض الذاكرين ، المذكورين في الآية ، فإنهم أنواع ، أعلامهم الذاكر للحضرة القدسية ، منهم من لم يفتقر طرفة عين ، ومنهم المتداوم على التذكر فى مصوغاته تعالى ، ومنهم المشتغل بالذكر بلسانه ، ويدخل فيهم المشتغل بعلوم الشرع وآلاته ، وإذا كتباً من الذاكرين ، ترتب هما ما أعده الله تعالى للذاكرين ، بقوله تعالى : ﴿أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَعِيراً وَأَجْراً عَظِيماً﴾<sup>(١)</sup> وعبارة العزيز : الذاكرون الله كثيراً والداكرات . من لا يكاد يحلو بقله ، أو بلسانه ، أو بهما وقراءة القرآن والاشتغال بالعلم من الذكر .

وقال القاصى عياض ذكر الله . بأن يذكر بالقلب وباللسان وذكر القلب نوعان :

أحدهما - وهو أرفع الأذكار وأحدها : الفكر فى عظمة الله

---

(١) الأحزاب : ٣٥

تعالى وجلاله ، وجبروته ، وممكنه ، وآياته هي سماواته وأرضه ،  
ومنه الحديث : « حير الذكر الحصى » والمراد به هذا .

والثاني . ذكر بالقلب ، عند الأمر والهي ، فيمتثل ما أمر به ،  
ويترك ما نهى عنه ، ويقف فيما أشكل عليه ، وأما ذكر اللسان  
مجرداً فهو أضعف الأذكار ، لكن فيه فضيلة عظيمة كما جاءت به  
الأحاديث « اهـ بحروفه .

وقوله كتباً من الداكرين الله كثيراً .. إلخ .

المراد بالذكر ما يشمل التسيح والتحميد والتكبير والاستغفار  
ويقول الحصى في حاشيته على الجامع الصغير .

(ذكر الله) فهو أفصل شيء ، يتقرب به ، إليه تعالى ، والاشتغال  
بالقرآن أفصل من يتدبر معانيه ، فيحصل له بتلاوته الزجر والتطهير ،  
أما لموث بالمعاصي الذي يقرؤه بلسانه فقط ، فيسعى له الاشتغال بالذكر  
الذي يطهره من المعاصي ، وأفصل أنواع الذكر : « لا إله إلا الله » أي  
لسفس الأمانة ، وقول أهل التصوف : يطلب الذكر المفرد أعنى الله  
الله الله وهكذا . محمول على اسفس السوامة ، فإنه ثبت فيها أنه لا إله  
إلا الله تعالى ، حتى يصح كونها تلوم صاحبها على المعاصي ، ولتناسب  
ها الذكر المفرد ، لتلاحظ الذات المقدسة ، فتنتقل من اللومة إلى  
المطمئنة ، أما الأماره فالمناسب لها الذكر ، المشتغل على إثبات ونفى<sup>(١)</sup>  
وعلامه الأمانة . أنها كلما فعلت ذنباً ، أحبت فعلاً آخر وهكذا فلا يغتر  
الإنسان ، ويصف نفسه بأنها لوامة أو مطمئنة بل يحترها .

---

(١) أي . لا إله إلا الله .

(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي . وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَّتَاهُ) . عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ .

(قوله ما ذكرني) أى مدة ذكره لى والذكر أنواع ثلاثة

١ - ذكر النسان ، وإن كان القلب عاقلاً ، فهو ذكر العوام ، وفيه ثواب .

٢ - وذكر الخواص ذكر للسان مع حصور القلب بالتفكر فى مصنوعاته ونحو ذلك .

٣ - وذكر خواص الخواص : وهو أن يغيب فى الشهود عن كل ما سواه تعالى ، ولم يخطر به غيره تعالى ، وهذا يناسبه الذكر المفرد نحو الله الله ، وهكذا إذ ليس فى ذهنه غيره تعالى حتى يحتاج للمضى والإثبات ، فهذا إنما يكون لأهل هذا المقام ، وإن كان أهل الشريعة يقولون لا يثاب إلا بملاحظة نحو : معبود أو موجود ، لأن هذا ملحظ صوفى لأهل الحقيقة فلو أراد الجمع بين الظاهر والباطن لاحظ هذا المقدر .

(قوله حير الدعاء) أى الذكر الاستعفار لمن هو ملوث بالذنوب لأنه من باب التحلية ، وبقية الأذكار من باب التحلية ، والأول مقدم ، ألا ترى أن تطييف الثوب أولى ، من تبخير مثلاً ، وهذا لا يقتضى الأمر بترك الأذكار للملوث بالذنوب ، لأن المراد أن الأولى له الإكثار من الاستعفار أكثر من بقية الأذكار فهو مثاب على الجميع

حددوا بيمانكم أكثروا من قول . لا إله إلا الله . عن أبي هريرة رضى الله عنه . قوله من قول « لا إله إلا الله » : فإنها تزيد

القلب نوراً ، وهى كالسيف القاطع للنفس الأمارّة ، فإنها ترقى  
الملازم لها إلى أن تكون بنفسه لوامّة ثم مطمئنة .

« أكثروا ذكر الله حتى يقولوا محنون » عن أبي سعيد .

(قوله أكثروا ذكر الله) أى بأى نوع كان ، والأولى لأهل النفوس  
الأمارّة : « لا إله إلا الله » فإنها سرّاً عحيّاً فى التطهير ، ولد  
احتارها أولاً أهل الله ، الملقوب للأذكار ، فإنها كالسيف القاطع ،  
ولاسيما عن شيخ

قوله . (أكثروا ذكر الله الح) ولذا كان السلف يلقن بعضهم  
بعضاً الداكر لأخذ ذلك بالحدث المسلسل ، فإذا لقن الشيخ تلميذه  
انهزت تلك السلسلة ، وفاض عليه النور منها ، بقدر اعتقاده فى  
شيخه ، وينبغى للداكر أن يتدبّر بالنفس من جهة يمينه ، لأن الشيطان  
فيها ، يذكر لفظ الله جهة يساره لأن القلب جهة يساره ، فالتحرك .  
فى الذكر وارد عن السلف بخلاف التحرك فى قراءة القرآن ، والعلم  
فالأولى تركه ، أى : أن تفصده خلاف الأولى ، فإن غلب الحال  
على الشخص فلا بأس به ويسن الجهر بالذكر حيث لم يخف رياء ،  
ولم يشوش على نائم ولا أسر فلا يطلق القول وذلك لأن الجهر  
ينشط ولذا قال شحص لشخص يذكر فى المسجد جهرّاً بحضرته ،  
عن ابن هدا رياء ، فقال عليه السلام : « دعوه فإنه مهيم »



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### رسالة في فضل الذكر والتسبيح والتهليل

حمداً لمن عرس أشجار التوحيد ، في بساتين قلوب لأحباب ، ورفع  
ألوية التمجيد ، لمن اشتعل بذكره ، فحافظ على شروطه والآداب ،  
وصلاة وسلاماً على موصل الحصصيات ، وعلى آله وأصحابه ما  
مدح الذاكرون في الأحاديث والآيات .

(وبعد) فيقول فقير ربه المعنى ، الراجي عفو مولاه محمد الحفنى .  
هذه رسالة في فضل التسبيح ، والتهليل مشتملة على أحاديث ،  
سرّها يشفى العليل ، وعى ما يطلب من التمايل ، في ذكر الحق  
الجليل ، وعلى وجه الابتداء بالمعنى من الجهة اليسرى والحتم بالإثبات  
من الجهة اليسرى ، وفي بيان حكم الأسرار والجهر به نفع الله  
بسرّها الأحباب إنه كريم جواد وهاب .

أما الأحاديث فمنها : قال رسول الله ﷺ :

إذا قال العبدُ المُسلمُ « لا إلهَ إلا الله خَرَقَتِ السَّمَوَاتِ ، حتى  
تَقِفَ بين يَدَيِ الله تعالى ، فيَقُولُ لَهَا : اسْكُي ، فتَقُولُ : كَيْفَ  
أُسْكِي ، وَلَمْ تَعْفِرْ لِفَائِلِي ؟ » نَقَالَ : مَا أُخْرِجْتُكَ عَلَى بَسَائِرِهِ إِلَّا وَقَدْ  
عَفَرْتُ لَهُ » رواه الديلمي بسند يعمل به في الفضائل .

وقال رسول الله ﷺ :

« إِنَّ اللَّهَ عَهْدٌ إِلَىٰ آلَا يَأْتِينِي أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا يَخْلُطُ بِهَا شَيْئًا ، إِلَّا أَوْجَبَ اللَّهُ لَهُ الْجَنَّةَ ، قالوا يارسول الله : وما الذي يَخْلُطُهُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ : قَالَ حِرْصًا عَلَى الدُّنْيَا ، وَجَمْعًا لَهَا وَمَنْعًا لَهَا ، يَقُولُ قَوْلَ الْأَنْبِيَاءِ ، وَيَعْمَلُ عَمَلَ الْخَبَائِرِ » رواه الحاكم والترمذي بسند يعمل به في الفضائل .

وقال رسول الله ﷺ :

« وَمَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَحَمْدُهُ كُتِبَ لَهُ مِائَةُ أَلْفٍ حَسَنَةٍ ، وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفَ حَسَنَةٍ . فقالوا : يارسول الله إذا لَا يَهْلِكُ مِنَّا أَحَدٌ ، قَالَ : بَلَى ، إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَجِيءُ بِالْحَسَنَاتِ لَوْ وَضَعْتُ عَلَى جَبَلٍ لَأَنْفَلْتُهُ ، ثُمَّ تَجِيءُ الْقَوْمُ فَتَذْهَبُ هَذِهِ ، ثُمَّ يَتَطَاوَلُ الرَّبُّ بِغَدُ ذَلِكَ بِرَحْمَتِهِ » رواه الحاكم في المستدرک بسند صحيح

وروى الحاكم عند شداد بن أوس قال : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ :

« ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ فَقُولُوا « لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ » فَقُلْنَا .

فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ بَعَثْتَنِي بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ ، وَأَمَرْتَنِي بِهَا ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهَا الْجَنَّةَ ، إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ ، ثُمَّ قَالَ : أَبَشِّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَمَرَ لَكُمْ » .

وقال رسول الله ﷺ :

« من قال - إذا أصبح - سبحان الله وبحمده ألف مرة ، فقد اشترى نفسه من الله سبحانه وتعالى ، وكان آخر يومه عتيقاً من النار »  
أخرجه الطبراني والخرائطي .

وقال ﷺ :

« ليس من عد يقول لا إله إلا الله مائة مرة إلا وبعثه الله يوم القيامة ، ووجهه كالقمر ليلة البدر ، ولم يرفع لأحد يومئذ أفضل من عمه إلا من قال مثل قوله ، أو رآه » رواه الطبراني بسند يعمل به في الفضائل .

وقال رسول الله ﷺ :

« لا تزال » لا إله إلا الله « تحجب غضب الرب عن الناس ، ما لم يُبأنوا بما ذهب من دينهم ، إذا صدحت لهم دنياهم ، فإذا قالوها عند ذلك ، قيل : كنيتهم ، نسئتم من أهلها » رواه البحاري بسند يعمل به في الفضائل

وقال رسول الله ﷺ :

« من قال لا إله إلا الله يبقى ويفنى كل شيء ، عوفي من الهم والحزن » رواه الطبراني .

وقال رسول الله ﷺ :

« اذكر الله فإنه عون لك ، على ما تطلب » رواه ابن عساكر عن عطاء مرسل .

وقال رسول الله ﷺ :

« اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا حَتَّى يَقُولَ الْمُتَأَقِّقُونَ إِنَّكُمْ تُرَاعُونَ » - رواه الطبراني عن ابن عباس .

وقال رسول الله ﷺ :

« اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا خَامِلًا ، قِيلَ : وما الدُّكْرُ الخامل ؟ قال . الدُّكْرُ الْحَيُّ » رواه ابن المبارك عن حمزة مرسلاً .

وقال رسول الله ﷺ :

« أَفْضَلُ الْعِبَادِ ذَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الذَّاكِرُونَ » رواه الإمام أحمد في مسنده والترمذي عن أبي سعيد .

وفي الحديث العنسي : (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، حِصْنِي ، وَمَنْ دَخَلَ حِصْنِي أَمِنَ عَذَابِي) .

وقال رسول الله ﷺ :

« أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَهِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ » .  
وقال « أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصَةً مِنْ قَلْبِهِ » .

وقال ﷺ :

« مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَهَا ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَإِنْ رَنَا وَإِنْ سَرَفَ ، قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثًا » .

وقال رسول الله ﷺ :

« إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِیَاضِ الْحِجَّةِ فَارْتَعَوْا » .

قَالُوا وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ ؟

قال : « حِلَقُ الذِّكْرِ » بكسر ففتح جمع حَلَقَه - بفتح فسكون - وهي جماعة من الناس يستديرون كحلقة الباب وجاء في حديث آخر : تفسير « رياض الحنة بمجالس العلم » . وجاء في حديث : تفسيرها بالمساجد . وقد كان رسول الله ﷺ ، يبين لكل قوم ما يناسبهم وقال ﷺ « ما من قوم جلسوا مجلساً وتفرقوا عنه ولم يذكرُوا الله فيه إلا كأنما تفرقوا عن جيفة جمار ، وكان عليهم حسرة يوم القيامة » .

التمايل في الذكر :

وأما التمايل عند التهليل ، فقد قال الإمام الشعراني في الأجرية المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية ما نصه : وما أنكروه عن اقوم تمايلهم يمينا وشمالا ، عند قول : « لا إله إلا الله » . وقالوا م يرد بذلك نص ، إنما ورد الحث على ذكر الله من غير ذكر تمايل

والجواب . أن الخافض أبا نعيم روى عن المصيل بن عياض ، أنه قال : كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا ذكروا الله تعالى تمايلوا يمينا وشمالا ، كما تتمايل الشجرة في الريح العاصف ، إلى قدام ثم ترجع إلى وراء ، فدعهم ذلك يا أحمى ، وإن كنت ولابد مُكرا ، فأكرر على أهل المحرمات بالصصوص التي تراها في سدك وغيرها ولا تنكر على أهل الله ، انتهى .

والسرُّ في الابتداء بانتهى من الجهة اليمنى كما ذكره بعض العارفين :  
 أن النفس الأمارة فيها وهي نفس حيثة ، قال يوسف عليه الصلاة  
 والسلام : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ وقال فيها نبينا عليه الصلاة  
 والسلام : « أعدى أعدائك نفسك التي بين جنبتك » ، وذكروا أن  
 الشيطان من جندها لا يقدر على الدخول على الإنسان إلا بواسطة .  
 وهي تحيل للعبد كل القائح حتى الشرك فرد عليه بنصه والقب في  
 الجهة اليسرى وهو محل الأسرار والأنوار فحمل لفظ لجلالة الشريعة  
 عليها ليتلقى أنواره وأسراره .

وَمَا حَكَمَ الْإِسْرَارَ وَالْجَهْرَ بِهِ فاعلم أن الذكر سرًّا مُفْضِلٌ مِنْ  
 خَافَ رِيَاءَ وَدِيهِ نَائِمٌ أَوْ مَصِلٌ أَوْ قَرِيٌّ وَلَا فَالْجَهْرَ أَفْضَلُ لِأَنَّ  
 الْعَمَلَ فِيهِ أَكْثَرُ وَفَائِدَتُهُ تَتَعَدَّى لِسَمَاعٍ وَتَرْقُظُ قَلْبَ الذِّكْرِ وَتَجْمَعُ  
 هِمَّتُهُ إِلَى الْمَكْرِ وَتَصْرِفُ هِمَّتَهُ إِلَيْهِ وَيَطْرُدُ النَّوْمَ وَيَزِيدُ فِي الْأَنْوَارِ .  
 وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ <sup>(١)</sup> الْآيَةُ . فَأُجِيبُ  
 عَنْهُ بِأَنَّ الْآيَةَ مَكِّيَّةٌ بَرَلَتْ حِينَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ فَيَسْمَعُهُ  
 الْكَفَّارُ فَيَسْتَوْنُ الْقُرْآنَ وَمَنْ أَنْزَلَهُ ، فَأَمَرَ بِالْثَرَكِ وَقَدْ رَأَى ذَلِكَ وَالْأَمْرَ  
 خَاصَّ بِهِ الْكَامِلُ الْمَكْمُلُ ﷺ الَّذِي رُوحُهُ أَفْضَلُ الْأَرْوَاحِ الْمُقَدَّسَةِ ،  
 وَأَمَّا غَيْرُهُ مِمَّنْ هُوَ مَحَلُّ الْوَسْوَاسِ وَالْحَوَاطِرِ الرَّدِيئَةِ فَمَأْمُورٌ بِالْجَهْرِ  
 لِأَنَّ لَهُ تَأْثِيرًا فِي دَفْعِهَا

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿ اذْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

(١) الأعراف . ٢٠٥

الْمُعْتَدِينَ<sup>(١)</sup> . فذلك في الدعاء لا في الذكر ، والأفضل في الدعاء الإسرار لأنه أقرب للإجابة ، ولذا قال تعالى : ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾<sup>(٢)</sup> وأما ما نقل عن ابن مسعود أنه رأى قوما يهللون برفع الصوت في المسجد فكان ما أراكم إلا مبتدعين وأمر بإخراجهم ، فغير ثابت بدليل ما في كتاب الرهد بالسند إلى أبي وثل أنه قال : هؤلاء الذين يزعمون أن عبد الله كان يهوى عن الذكر ما جالسته مجلساً قط إلا ذكر الله أي جهراً ، ومما يدل على طلب رفع الصوت بالذكر .

خير البيهقي . أن رسول الله - ﷺ - مرَّ برجل في المسجد يرفع صوته بالذكر فقبل له : يا رسول الله عسى أن يكون هذا مُرائياً ، قال . لا ، ولكنه أَوَّاهٌ ، وحبره عن جابر : « أن رجلاً كان يرفع صوته بالذكر فقال رجل : لو أن هذا خفض صوته ، فقال رسول الله ﷺ : به أراه » أي كثير التوجُّع من حرارة العشق لله ، فلم يطق إلا رفع الصوت بذكره .

وبالجملة فكثر الأحاديث دالة على طلب الذكر سرّاً وجهراً لإطلاقها وأما الأحاديث المقيدة بالسراً فقد تقدم رجعها . وأفضله وأتفعه ما كان يحصور قلب ، ومجرد ذكر اللسان مع الغملة لا يحرم الآتي به من الثواب : فلا يسعى لمن حُرِّم فصيلة حضور القلب أن يترك الذكر اللسني ، وقد يوسوس الشيطان له فيقول له : ما فائدة ذكرك مع غملة قلبك ، فلا تمل إليه ودم على ذكرك مجاهداً في ذلك اللعين ،

(١) الأعراف ٥٥

(٢) مريم ٣٠

وارج وصول ذلك إلى القلب فيتحلى بالكمال ، وإن كان الكل  
يكرهون الذكر مع العفلة نظراً خالهم » ا هـ  
فإذا ما صدقت التوبة وبدأ المرید على الذكر أثر ذلك التقوى .  
وعن التقوى يقول أبو الأنوار :  
التقوى ثلاثة أقسام :

- ١ - تقوى انعام : التُّنْزَهُ عن الكفر .
  - ٢ - تقوى الحواصص . التُّنْزَهُ عن كل معصية
  - ٣ - تقوى حواصص النخوص . التُّنْزَهُ عن كل ما سوى الله تعالى .
- وبمناسبة ما رواه زين بن سلمة عن رسول الله ﷺ من قوله :  
« اتَّقِ اللَّهَ فِيمَا تَعْلَمُ » .  
يقول أبو الأنوار :

(وقوله : اتَّقِ اللَّهَ ، أي حبه واحش عقابه والتقوى . جَعَلَ  
وفاية بين الحد وبين غضبه تعالى ، وهي امثال الأوامر ، واجتناب  
النواهي وسمى امثال ذلك تقوى لأنه يقى الشخص من النار  
قوله : (فيما تعلم) قيد به إشارة إلى أنَّ الحاحل ، لا يتأتى منه تقوى ،  
فعليه أن يتعلم أولاً المأمورات والمبهيئات ، ثم يمتثل ذلك » ا هـ  
وإذا ما صدقت التقوى أنتجت « الاستقامة » .  
والحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد وغيره عن عدة من  
الصحابة وهو :



« اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُخْصُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ ،  
وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ » .

يقول عنه أبو الأنوار ما يلي :

( قوله : « وعلموا إلح » ) أشار إلى أن من لم يقدر على أنواع  
الاستقامة فليحرص على أقوى أسباب الاستقامة وهو الصلاة والوضوء  
وأطلق الوضوء ليشمل الطهارة الحسية والمعنوية قال العلقمي : حاتمة ،  
قال السهيلي : رأيت النبي ﷺ في المنام ، فقلت له : روى عنك  
يارسول الله أنك قتت : شييتي هود ، مما الذي شييك منها ؟  
أشييك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟ فقال : لا ، ولكن إنما  
شييتي قوله تعالى ﴿ فَاسْتَقِيمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾<sup>(١)</sup> . هـ إذ قوله :  
« كما مرت » يدل على أن الاستقامة تكون لمعرفة فمن كملت معرفته  
بربه عظم عنده أمره وبهيه فإذا سمع « كما أمرت » علم أنه طوبى  
باستقامة تليق بمعرفته بكمال الأمر ، وحقيق لم فهم ذلك أن يشيب  
بد لا يطيق أحد أن يأتي بعبادة على حسب ما يعرف من عظمة  
ربه ، بل لابد أن يستصغر جميع ما يأتي به وإن كان كاملاً بالإضافة  
إلى عظمته ، ولذلك لما نزل : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾<sup>(٢)</sup> فنبقت  
الصحابة حرقاً من كونهم لا يقدررون على القيام بمعنى ذلك ، فأنزل  
الله رحمة لهم : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾<sup>(٣)</sup> انتهى بحروفه بخط  
الشيخ عبد البر الأجهوري .

(١) هود : ١١٢ .

(٢) آل عمران : ١٠٢ .

(٣) التمام : ١٦ .

ومن المقامات العامة بالنسبة للصوفية : الزهد .

وعن الزهد يقول رسول الله ﷺ :

« ازهد في الدنيا يُحبك الله وأزهد يَمَا في أيدي الناس يُحبك الناس »<sup>(١)</sup> .

ويشرح الشيخ الحفنى هذا الحديث فيقول :

( قوله ازهد ) من الرهد ، وهو لغة : ترك الشيء احتقاراً له سواء كان محتاجاً له أولاً ، وصطلاحاً ترك ما راد على حاجته من الحلال ، والورع ترك الحرام والشبهة هي الدنيا أى الشاعرة عن طاعة الله تعالى المترتب عليها صياح حقوق الخلق والحق وهي المعنية بـ : حديث تعس ، إلخ<sup>(٢)</sup> .

وحديث الدنيا ملعونة ، إلخ<sup>(٣)</sup> .

أما المعنية على الطاعة فممدوحة كما في حديث :

« نعمت الدنيا مطية المؤمن بها يصل إلى الخير وينجو من لشر » .  
قال الماوى : وليس من لرهد ترك الحماح فقد قال سفيان بن عيينة كثره النساء ليست من الدنيا فقد كان على كرم الله وجهه أزهد الصحابة وله أربع زوجات وتسع عشرة سرية .

---

(١) رواه عدة من المحدثين عن سهل بن سعد

(٢) أخرجه البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

« تعس عبد الديار والدرهم والقصيفة والحمصة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط لم يرص »

(٣) روى الترمذى وابن ماجه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « الدنيا ملعونة : ملعون ما فيها ، إلا ذكر الله سبحانه وما والاه ، وعلم أو

متعلما » (وقال الترمذى حديث حسن) .

وقال ابن عباس : حير هذه الأمة أكثرها نساء .

وكان الحسد شبح لقوم يحب الحماح ويقول : إني أحتاج إلى المرأة كما أحتاج إلى طعام<sup>١</sup> هـ يحروفه في شرحه الصغير<sup>(١)</sup>

ويتبس على بعض الناس مفهوم الرهد ، ومفهوم الثراء ، وحينما شرح الشيخ الحنفى الحديث الشريف الذى رواه الحسن مرسلا وهو :

« حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » .

قال ، ميمراً الفرق بين مفهوم الثراء الممدوح ، ومفهوم الثراء المذموم .

« قوله حب الدنيا » أى تعلق القلب بها والانهماك على تحصيلها بأى وجه كان ، كالكسب والتجار الذين يحلفون كذباً لترويج السلعة ، أما إذا أحب جمعها لأصرفها فى مصارفها كإطعام الحائض فهو محمود ، لا خطيئة ، مصلأ عن كونه رأس كل خطيئة ، ولد ورد سمعت الدنيا مطيه المؤمن بها يصل إلى الحير ويجو من الشر ، وهذه بصيحة منه ﷺ لأمته ، وإلا فكل واحد لا غنى له عن الدنيا .

« اتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ مَا يَلْقَى الرَّسُولُ رِجَالًا وَمَا هُوَ بِشَيْءٍ مِنْ فُخُوحِهِ بِأَوَّلِي لَصِيدِهِ فِي الْأَتْقِيَاءِ مِنَ النِّسَاءِ » .

( قوله اتقوا الدنيا ) المراد بها كل ما يشغل عن الله تعالى من ذهب وفضة وغيرهما ومنه تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الديار ،

(١) حاشية الحنفى على الجامع الصغير ج١ ص ١١٧

بحلاف مالا يشغل عن الله تعالى ، من يستعين بها على مصاحبه ،  
فهي ممدوحة ، ومنه : « نِعِمَّتِ الدُّنْيَا مَطِئَةُ الْمُؤْمِنِ » الحديث ،  
فهي من حيث ذاتها لا تدم ولا تمدح ، وإنما هما من حيث ما  
يعرض لها قال الشاعر :  
يُسَبِّحُ بِهَا

هي الدنيا نقول بمنى فيها ، الخ فهي كحجة فيها تزيى رسم ،  
فلا يسلم من سمها ويأخذ تزيها إلا الحكيم الماهر

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### رسالة في فضل الذكر والتسبيح والتهليل

إذا آتاك الله مالا فبیر أثر نعمة الله عليك وكرامته .

عن وائد أبي الأحوص ، إذا آتاك مالا فبیر عليك ، فإن الله يحب أن يرى أثره على عبده حسناً ولا يحب البؤس ولا التباؤس ؛  
والضياء عن زهير بن أبي علفمة .

(قوله آتاك) بمد الهجزة فبیر الخ

أى فالبس الثياب الحسنه بقصد حسن كإصهار نعمة الله تعالى ويدخل فى قوله تعالى : ﴿ثَن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾<sup>(١)</sup> أى اقصد باللس شكر الله على نعمه ، وعنه : إن لم تكن تحت يد شيخ مرب لك لأجل أن يطهرك فالأولى لك حينئذ لس الخشن ، فإذا طهر قسك فالأولى لك لبس الثياب الحسنه ، ونقل أن سيدنا الحسن لس ثوباً بأربعمئة دينار فقال له بعض أهل الله تعالى . ثوبك ليس ، فعان به سيدنا الحسن : إن قصدت به شكر نعمة الله فكم من لبس أعلى الثياب وقلبه فى النواضع والحشوع ، وورد أنه ﷺ لبس حلة بثمان : يمين وثلاثين باقة ، يطهرها لنعمة الله ، ولاقتداء به

(١) إبراهيم : ٧

عليه في ذلك مطلوب لكن بالشرط السابق ، (قوله البؤس) أى التحشر فى الملبس واطهار الماقة ولا التباؤس أى إظهار التحزن والتخلفن . ١ . هـ الحاشية ص ٥٣ .

أما عن الهبة : فإن أبا الأنوار ينقل عن أبي الحسن ما يلى من نصوص عدة ، إنه يقول :

« قال العارف بالله تعالى أبو الحسن الشاذلى فى رسالة القصد<sup>(١)</sup> .

الهبة من الله أحذه لقلب عبده من كل شىء سواه ، هتري انفس مائنة لطاعته ، والعقل متحصناً بمعرفته ، ولروح مَحُودَة فى حصرنه ، والسر معموراً فى مشاهدته ، والعبد يستريد فيراد ، ويعالج بما هو أعذب من لديد مناجاته فيكسى حلل التقريب على بساط القرية ، ويمس أبكار الحقائق وثبات العلوم .

وقال رضى الله عنه . « أوصاف المحب أن يكون دائم الفكر ، كثير الدل قليل العبادة ، دائم الصمت ، لا يحاف ولا يرجو . لا يسمع إذا نودى ولا يبصر إذا نظر » .

وقال رضى الله عنه :

لمحب عني حقيقة من لا سلطان على قلبه لغير محبوه ولا مشيئة له مع مشيئته .

وقال رضى الله عنه .

---

(١) رساله القصد هى رساله « القصد إلى الله » ومنها مَحْذُوظَة فى المكتبة التوسيه وهى عبارة عن مجموعه من كلام أبى الحسن لا تكاد تخرج عما فى الكتب المطبوعة ، ويسر أنها من جمع أحد المريدين .

« حرام عليك أن تتصل بال محبوب ويبقى لك في العالمين مصحوب » .

وقال رضى الله عنه :

إذا منعك مما تحب وردك إلى ما يحب فذلك من علامة محبته لك . ويقل الخفى عن الشئلى ما يلى :

عن الشئلى أنه قال مرة لتلميذه احصرى فى بداية أمره

يا حصرى ، إن خطر فى بالك من الجمعة الثانية غير الله فلا تحصرنى ، فإنه لا يجىء منك شئ .

وللحلاج سهم موفور فى المحبة ، وخفى يقل عنه هذه الدرر النفسية فى مقام المحبة فيقول .

« ومن كلام الحلاج إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى إليه بخواصره ، وحرس سره عن أن يسبح فيه غير خاطر الحق ، ثم قال :

ومن علامات انعارف أن يكون فارعاً من أمور الدنيا والآخرة ، مستقلاً بالله .

وسئل عن صفة المريد فقال . هو الرامى بآول قصده إلى الله فلا يعرج حتى يصل .

وسئل عن التصوف وهو مصلوب ، فقال : أهونه ماترى .

وكان يقول : من لاحظ الأعمال حجب عن المعصون له ( وهو الله تعالى ) ومن لاحظ المعصون له حجب عن الأعمال .

وكان يقول : لا يجوز لمن يرى غير الله أن يدعى أنه عارف بالله عز وجل .

وكان يقول : من أسكرته أنوار التوحيد حجبته عن عادة التجريد ، ومن طلب الحق بنور الإيمان كمن طلب الشمس بنور الكواكب . يريد أن يقول .

اطلب الحق بنور الحق ، لا تجعل بينك وبين الحق واسطة فهو أقرب إليك من حين الوريد .

وكان يقول : من شرط التوكل ألا يأكل شيئاً وهو يعلم أن في بطنه من هو أحوح منه .

وللصوفية أبحاث عميقة جميلة عن اليقين في مختلف درجاته وعن ذلك يقول الحسن بن علي « قوله : يقيناً » ، في المتوحات الإلهية في نفع أرواح الذوات الإنسانية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري ما يوضح المقام ، وبص عبارته : اليقين ظهور نور الحقيقة في قلب المؤمن عند كشف الأستار البشرية بشهادة الوجدان والذوق ، لا بد لآله العقل والنقل : وذلك يحصل بالجزم ومطابقة الواقع ، ويطلق اليقين مجازاً على نتيجة ذلك وهي اطمئنان القلب ووثوقه بموعود الله تعالى ليستريح العبد من تعب الشقاء في تحصيل المرافق الدنيوية ، فيكون حقيقة فيما هو من قبل الأحوال والمقامات مجازاً في ثمراتها ؛ وقيل مشترك بينهما ، وعدم اليقين ما حصل عن نظر واستدلال ، وعين اليقين ما حصل عن مشاهدة وعيان ، وحق اليقين ما حصل



عن عيان ومباشرة ، فالأول منها كمن عدم بالدليل وجود الجنة ،  
والثاني كمن حصرها وشاهدها ، والثالث كمن شاهدها ودخلها .  
ونزيد الشيخ الحفنى الأمر وضوحاً فيقول :

« قوله علم اليقين » قال الشيخ قاسم فى كتابه « السير  
والسلوك » : علم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل العقلى ، وعين  
اليقين هو العلم الحاصل بالمشاهدة ، وحق اليقين هو فناء صفات  
العد فى صفات الحق وتقاؤه به علماً وشهوداً وحالاً لا علماً فقط ،  
والذى يقضى على التحقيق صفاته لاذاته ، فحيث لا بد من بقاء عين  
العد القانى فلا تقضى ذاته فى ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين  
كذبوا على الله ، بل إن العبد كلما تقرب إلى الله بالعبودية وإظهار  
الحجز والفناء عن جميع الصفات المناقضة للعبودية . وهذه الله تعالى  
فصلاً منه صفات حميدة حقيقية عوصاً عما فى منه من الصفات  
الذميمة الحلقية ، والله تعالى هو القادر على كل شئ والعبد هو  
العاجز عن كل شئ ، فمتى شاء أذهب عن العبد ما فيه من الحوائث  
وأمره بما يعجز عنه كل ما سوى الله تعالى فلا مانع لما أعطى ولا معطى  
لما منع ولا راد لما قضى ولا مدلل لما حكم ، فإذا وهب عبده  
العاجز ما وهبه تصرف فى الأكوان بإرادة سيده » ا هـ

وبمناسبة الحديث عن اليقين يتحدث الشيخ عن سيدنا على كرم  
الله وجهه فيقول :

« وقوله من البراهين » هذا بيان لعلم اليقين المتصف به هذا  
الإمام كرم الله وجهه كاتصافه باليقين نفسه قبل نظره فى الدليل

فإنه قد ظهر نور الحقيقة في قلبه عند إزالة شرك البشرية عنه في حال تميزه ، ولذلك بادر بالإسلام قبل بوعه فتأمل .

( قوله : ومن ثم فاختص ) عبارة الشارح في الفتوى وجه اختصاص على بذلك [ أى . كرم الله وجهه ] عوضاً عن الترصى [ أى . رضى الله عنه ] أنه لم يسجد لصنم قط فاسب أن يدعى له بما هو مطابق لحاله من نكرمة الوحه ، والمراد به حقيقته أو الكناية عن الداب ، أى حفظه أن يترجه لغير الله في عبادته ويشاركه في ذلك أبو بكر ، فإنه لم يسجد لصنم أيضاً ، كما حكى عنه فاسب أن يدعى له بذلك ، وإنما كان استعمان ذلك في حق على أكثر لأن عدم سجوده لصنم أمر مجمع عليه ، لأنه أسلم وهو صبي ميمر ، فإن قلت : كثير من الصحابة لم يوجد منهم سجود لصنم كالعادة ابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير وغيرهم ، ومع ذلك لا تقول الناس فيهم ذلك بل لترضى كغيرهم .

قلت . هؤلاء ونظراؤهم إنما ولدوا بعد اضمحلال الشرك ، وخمود نار الصلاة والفتنة فلم يشبهوا دينك إمامين هي تركهما أكر فتى الشرك من السجود للصنم مع دعاء أهله للناس بذلك ، ومبالغتهم في إيذاء من ترك ذلك ، وكان في الترك حينئذ مخالفة الآباء والأقارب وتحمل المشاف التي لاتطاق من الدلالة على الصدق ما ليس فيه بعد ظهور الإسلام ورهوق الصلال ، فاسب حالهما أن يمير عن بقية الصحابة ، بهذه الخصوصية العظمى رضى الله عنهما وكرم وجههما .

ويبه الشيخ الحصى إلى معنى « لمعية » حيثما وردت ويبين مصداقها

فى مختلف رواياتها وذلك بمساسة عدة أحاديث وردت فى ذلك ،  
منها :

قال الله تعالى : « عِبْدِىَ أَنَا عِنْدَ ظُنِّكَ بى وَأَنَا مَعَكَ إِذَا ذَكَرْتَنِى »  
(ك) عن أنس .

(قوله : وَأَنَا مَعَكَ) المعية ثلاثة أنواع معية العوام : معية علم ، ومعية  
الحواصص معية انصباب الرحمة ، ومعية حواصص الحواصص - معية الحفظ  
والعصمة من كل ما لا يليق . وإذا قيل . الله مع العوام أى بالعلم ، ومع  
الحواصص أى بانصباب الرحمة عليهم بحلاف العوام فليسوا أهلاً  
لانصباب الرحمة عليهم وإثباتهم الثواب الجزيل كالحواصص وإذا قيل الله  
مع خواص الخواص أى يحفظ جوارحهم عما لا يليق بمقامهم فى ساحة  
القرب منه تعالى إذا سألوه أعطاهم إلخ .

ومن هذه الأحاديث :

« أَفْضَلُ الْإِيمَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ حَيْثُمَا كُنْتَ »

(قوله : أَفْضَلُ الْإِيمَانِ) أى أفضل الثمرات التى يتحلى بها المؤمن  
من ثمرات الإيمان أن تعلم .. الخ أى عدم الشهودياً ، لا علماً برهانياً ،  
لأن أفضل الثمرات إنما هو عدم الشهود بحيث لا يشغله عنه ملاء ولا  
خلاء ولا نعم ولا تقم ، ومن كان ذا حله كان شاكراً فى حالة اسراء ،  
صابراً فى حالة الصراء ، راضياً فى حالة الفقر ، وإذا وقع فى ذنب أفلح  
وصبر على مع نفسه من شهواتها ، وإذا كان فى طاعة جد فيها

(قوله : أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَكَ) أى بالمعونة والإلطف والإسعاد  
والإسعاف والمعنى : أنه معك ومطلع عليك فى سائر الأوقات ، ومن

علم أن الله كدك لرم الأدب وراعى الحقوق على وجهها التى أمر بها  
وهى عنها ، وقد بعض لسانه لتلميذه : حد هذا الظائر وادبكه فى  
محل لا يراك فيه أحد ، فاحده وتوجه لما أمر به ، فدخل محلاً حرباً لا  
يطلع عليه أحد من الخلق ، فمما هم بدبكه قال فى نفسه : استادى  
أمرى بدبكه بمحل لا يرانى فيه أحد والله مطيع على فأرده إليه بلا دبح ،  
فرجع إليه بلا دبح ، فقرب لِمَ لِمَ تفعل ما أمرتك به ؟ فقص عليه الأمر ،  
فعد ذلك عرف الشيخ أنه قد وصل ، والله أعلم . هـ بحط الشيخ  
الأجهورى .

ومها :

« الله مع القاصى ما لم يحرق ، فإذا حار تحنى الله عنه ولمره  
الشيطان » (ت) عن عبد الله بن أبي أوفى .

(قوله مع القاصى) أى دعون والنصر بقريئة المقام إذ لو قيل معه  
بالعلم والإحاطة كما هو القاعدة لم يكن له خصوصية بل جميع الناس  
كدك ، وإنما كانت القاعدة ما ذكر لأن ابن شاهين سأل الجيد عن  
« مع » المصافة له تعالى فقال له : إن كانت فى جانب الرسل نحو .  
بى معكم أسمع ورى . ونحو الأوباء المحموظين فمعهاها النصر والحفظ  
وإن كانت فى جانب العامة نحو : ما يكون من نحوى ثلاثة الح  
فمعها العلم والإحاطة (قوله فإذا خاز اح) ليس هى زمان هذا ،  
بل وقته بأمد طويل ، من قاض إلا والله تعالى متحل عنه غير رضى .  
والشيطان ملازم له بالعوية التى منها انجور فى حكم وأكل أمور  
الناس بالباطل ، ﴿أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم﴾

وأولئك هم العافلون ، لا حَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾  
 وقد قسم بعضهم القضاة على ثلاثة أقسام : أحدها في الجنة ، والآخرون  
 في النار ، فالأول : من علم الحق وعمل به وقد تعسر بل تعدر وجوده  
 فيما أعسم ، والثاني : من علم الحق ولم يعمل به وهو كثير ، والثالث :  
 من جهل الحق ولم يعمل به وهو أكثر عافانا الله من ذلك .

ونختتم هذا الطريق العام بتوجيه يمس لرسول الله ﷺ وهو قوله :  
 « نَعْرِفُ إِلَى اللَّهِ فِي الرِّخَاءِ يَعْرِفُكَ فِي الشَّدَّةِ » أبو القاسم بن  
 بشران في أماليه عن أبي هريرة .

### ويشرح الحنفى هذا الحديث فيقول :

(قوله : في الرخاء) أى في حالة العنى وصحة البدن والأمن ،  
 فالتعرف في حال العنى بالصدقات ونفع الناس بماله، والتعرف في حالة  
 الصحة بالعبادات ، والتعرف في حالة الأمن وحلو الدهن الاشتغال  
 بمولاه تعالى لخلو ذهنه عن العدو والحوف، ولما لما عرف الدين سد  
 عليهم العار ربهم في الرخاء وذكر كل عمله الذى قصد به وجه الله  
 تعالى فرج عنهم في الشدة ، وكذا سيدنا يونس لما عرف الله تعالى في  
 الرخاء بالتسبيح وغيره نجاه من شدة الخوف ، ولما لم يتعرف فرعون  
 ربه في الرخاء لم ينجه من الفرق حيث استعاث ، وتعرف أهل الله تعالى  
 الاشتغال به تعالى على الدوام وترك ما سواه فيعرفهم وقت الموت وانقبر  
 ونحو ذلك .

(١) النحل : ١٠٨ ، ١٠٩

## الحفنى شيخاً للأزهر

وبعد حياة طويلة (نحواً من سبعين عاماً) تولى الحفنى مشيخة الأزهر .

لقد كان منصب شيخ الأزهر فى عهد الشيخ الحفنى له جلاله ، وله قدامته وقد سبق أن كتبنا ما يلى :

لقد كان منصب شيخ الأزهر يمثل فى مصر « الخلافة » . وقد كان شيخ الأزهر يعرف للمصعب حقه ، وكان يشعر بأنه أب لجميع المسلمين ؛ وهو باعتباره أنا يحتل مكان الأبوة فى شعور واصلح به . إنه مسئول عن سلوك أتباعه . عن سلوكهم أفراداً ، وعن سلوكهم شعباً ، وعن سلوكهم حكماً .

وكان الشعب يدجأ إلى أبيه إذا رلت به نارلة ، وكان احكام يلحون إلى شيخ الأزهر فى أمورهم الخطيرة .

وكان شيخ الأزهر قوياً فى تواضعه ، عريراً فى حكمه :

فى ذلك الزمن كانت الخلافة لرسول الله ﷺ فى تركيا ، وكانت تركيا معقد آمال المسلمين بسبب الخلافة ، وكانت أعين المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها تمتد إلى تركيا راحية ومتوسلة ، مستنصرة أو ناصرة .

إن الخلافة فى تركيا جعلت المسلمين يتطلعون إليها كرمز لرسولهم

وقد تم على دينهم ، وساهر على مصاحهم ، وكان الكثير من هؤلاء  
الحلفاء يشعرون بالمسئولية الملقاة على عاتقهم ، ويعملون ما استطاعوا  
لخدمة المسلمين ، ونشر رسالة الله .

وكان جيش الحلفاء معداً بقدر الاستطاعة لإغاثة المظلومين  
من المسلمين أينما كانوا .

لقد كان للحلفاء قداسة ، وكان هم هبة في الشرق والعرب ،  
وكانوا يقولون فتصفي الدنيا لقولهم .

وكان شيخ الأهر في مصر يحمل نفس الإحلال ولتقديس .  
إنه حيفة رسول الله في هذه البقاع ، وكانت تتمثل فيه صفات  
يقوم الاختيار على أساسها ، كان يتمثل فيه :

١ - العلم المكتسب لدى يُحصّنه الإنسان بذكائه من الكتب  
الخاصة بالعلوم الإسلامية . كتب التفسير ، والحديث ، والفقه ،  
وأصول الفقه والتوحيد وعلوم العربية ، وكان يمتد على الأقل في  
علم أو علمين من هذه العلوم مع إتقانه لبقيتها ، وما كان ذلك إلا  
لأنه كان يواصل الليل بالنهار في التحصيل

لقد كان العلماء إذاً يستيقظون قبل الصبح ويتعبدون ويتجهجدون  
ويبدءون الدراسة بعد صلاة الفجر مباشرة ، يبدءونها على طهر  
وروحانية ، وكان شيخ الأهر طالباً وأستاذاً على هذا انصراف  
إنه كان عالماً .

٢ - وكان على ثقة في الله سبحانه ، ومن أجل ذلك لم يكن  
يحشى أحداً إلا الله إنه كان من هؤلاء الذين يحشون الله ولا يحشون

أحدًا غيره ، وكانت ثقته في الله هذه تدلُّ له الأمور ، وتملأ قلوب الآخرين هيبة .

والثقة في الله يستق عليها أمور كلها سامية يستق عليها . طاعته سبحانه ، وكان شيخ الأزهر دائماً من العباد .

وكان يستق عليها الإخلاص في السر والعلن ، والإخلاص من المبادئ الأولى الواجبة في الإسلام .

وكان يستق عنها التوكل عليه سبحانه ، لأنه إذا وثق به فإنه يتوكل عليه .

﴿وَمَنْ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾<sup>(١)</sup> .

وكان يستق عليها فصائل أخرى كلها سام ورافع

٣ - ولم يكن في ذلك الوقت شيخ الأزهر عائلة على الحكومة .

وذلك أن لأزهر حفظ على الأمة لاعتها وإيمانها ، فوفت له الأمة من أجل ذلك بإحلالها واحترامها ، وبأوقاف كثيرة وقفها عليه

لقد كان موقوفاً على لأزهر ما لا يكاد يحصى من أموال ، وكان الأزهر يعيش في حدود أوقافه كريم النفس ، رافع الرأس ، وما كان يشعر بصيق في دنيا :

إنه يعرف ماله ، وفي حدود دائرته يثق ولا يتجاوز دائرته

وكان صدر الحاكمين يصيق بذلك أحياناً مما كان هم في إحصاء الأزهر من سبل من ناحية الرزق .

---

(١) إطلاق ٣ .



وأخذ الحاكمون في عصر دولة محمد علي يحتالون للأمر حتى أمكنهم بالمكر والخديعة أن يستولوا على أوقاف الأزهر ، ويعصوه ملاً من خزينة للدولة ، يصيق عليه فيه سويًا ، ولاتساير الدولة سمو الأزهر وتطوره ، وأصبح الأزهر في صيق يزداد ضيقاً كل عام .

أما أوقاف الأزهر التي أحدثت منه بالمكر والخديعة ، فإنها شرعاً ما رأت له ، لأن أوقاف البر لا توحد هكذا ، ولا يغير مصرفها ، وكل هؤلاء الذين استولوا عليها إنما يأكلون حراماً ، ومن يأكل حراماً لا يقبل الله منه عملاً ، « وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَقْدِفُ بِاللُّقْمَةِ الْحَرَامِ فِي حَوْفِهِ ، مَا يُثْقَلُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا » كما يقول رسول الله ﷺ ، ولا يقبل الله من يأكل أوقاف الأزهر - ولو كان قد اشتراها

دعاء فشرط استجابته الدعاء طيب المطعم ، كما قال رسول الله ﷺ حينما طلب منه سيدنا سعد أن يدعو الله له ليكون مستجاب الدعوة .

روى ابن مردويه بسنده عن ابن عباس قال : تَلَيْتُ هَذِهِ آيَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُونُوا مَعًا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا»<sup>(١)</sup> فقام سعد بن أبي وقاص فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يحضني مستجاب الدعوة ، فقال يا سعد : « أَطِيبَ مَطْعَمُكَ تَكُنْ مُسْتَجَابَ الدَّعْوَةِ ، وَالْيَدِ نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقْدِفُ اللَّقْمَةَ الْحَرَامَ فِي حَوْفِهِ مَا يُثْقَلُ مِنْهُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ، وَأَيُّمَا عَبْدٍ نَبَتْ لَحْمُهُ مِنَ السَّخَرِ وَالرُّبَا فَالْبَارُ أَوْلَى بِهِ » .

وإن هذا الذي يأكل أموال الأوقاف إنما يتقلب في حرام دائم .

(١) البقرة : ١٦٨

وبهذه المناسبة نُقصُها قصةً لها معراها الصادق

جاء عصفور إلى سيدنا سليمان عليه السلام وقال له .

إني مع ما ترائي عليه من صغر وضعف يمكنى أن أهدم ملكك  
هدمًا تامًا . ويتنسم سليمان عليه السلام ، ويسأله : كيف ؟

فقال أذهب إلى البحر فأبتل فيه ، ثم آتى إلى أرض من أرض  
الأوقاف وأتمرع فيها ، فيعثر بي من ترابها ، ثم آتى إلى قصرك  
فأنقص نفسي فيه . فما إن يحصل في بيتك من أرض الأوقاف  
شيء إلا كان ذلك سببًا في خراب قصرك وملكك .

ومعنى القصة صادق ، وثمرة المعنى الصادق رهبة .

ويقول أسلافنا رضوان الله عليهم

حينما تخرج من أرض أوقاف كنت سائرًا فيها فنفذ رجلحك  
وملاستك حتى تخرج منها وأنت على ما يشبه ليقين من النقاء من  
آثارها .

إن الأوقاف الخيرة لأهلها لاتناع ، ولا تصرف في غير مصارفها  
إنها لما وقفت عليه . وإلا فهي دمار يصيب المتسبب والآكل والمالك  
والمحيط كله .

ولابد من رد مال الأزهر إليه حتى تكون البركة ويكون النماء  
ويكون الخير ، وهذه الأوقاف ثابتة في حجج ، وما زالت هذه الحجج  
محفوظة ركاما اعتصبت دولة محمد على هذه الأوقاف فإنها يجب أن  
ترد ثانية .

هل من حيرين يتسود الفكرة ؟  
هل من مُحيرين للأرهر يعاونون على رد أوقافه إليه ؟  
هل من محتسب يبدأ ؟

لعل وعسى ، والخير في الناس ما زال باقيا .  
وكان علماء الأرهر ، وكان شيوخه عارفين عن ديد يتكالب  
عليها الناس ، وعن رئاسات بحرى وراءها الكثيرون  
وتخذ مثلاً الشيخ عبد الرحمن الشريسي الحطيب :  
لقد عرّضت عليه مشيخة الأرهر فأبى ، فعرضت على غيره من  
العلماء فلم يقبلها واحد منهم ، وعلل كل منهم امتناعه عن القبول ،  
إن الشيخ الشريسي أحق بها منه ، واجتمع الجميع على أنه يقدم  
يهم لهذا المنصب

وقبل الشيخ الشريسي هذا المنصب على أن يعين له وكيل ، ولكنه  
ما لبث بعد هذا أن استقال بعد أن استقر في هذا المنصب ثمانية عشر  
عاماً ، وكان له نشاط علمي بارز

لقد كتب على المطول في البلاغة .  
وكتب على البهجة في فقه الشافعية  
وكتب على جمع الحوامع في أصول الفقه .  
وتوَّج ذلك كله بتفسيره الكبير .  
ومثال آخر : إنه الشيخ سليم البشرى :

لقد تولى المشيخة عام ١٣١٧ هـ ، ورار مع الحديوى عباس  
معاهد الأرهر ، وكان قبل توبه مشيخة رئيساً للجنة إصلاح الأرهر .

وقدم مشروع الإصلاح الذى أصبحت تبعاً له رئاسة الأزهر لشيخ الأزهر ، وأصبحت مشيخته مشيخة نظامية

أما عن نشاطه العلمى فقد كان يقرأ فى الصجر صحيح البخارى ، وكان له إسناد فى الحديث وُلّف عدد كتب فى الأدب والتوحيد والحو ومها شرح البردة وغيرها

ولما هدم مصطفى كمال لحلافة بناءً على تحطيط محكم لتعريق مسلمين وإصعاعهم راد تطلع الدس إلى الأزهر وملهم فيه

لقد عُرض على السلطان عبد الحميد رحمه الله مبالغ ضخمة : عشرات الملايين للدولة العثمانية ، وعشرات الملايين لنفسه شخصياً ليسمح بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين ، فأبى السلطان إبقاء مسلم المؤمن ، وكنما أخوا عليه وأكثر من الأرقام المالية التى تدفع كما كان إيمانه بربه أكبر ، ومنذ ذلك الزم وضع التحطيط هدم الحلافة ، أما الأداة المنفذة هى كثير من لحسة هبى أتاتورك .

مدا هل أتاتورك ، ومادا كان مرقف المسلمين مه ؟ لقد أقامت الدعاية لمصطفى كمال العام الإسلامى للعطف عيه ، وأعلنت أنه مسم يعمل لنهضة الإسلام وتثبيت الإيمان .

ول استب له الأمر أناد عن نواياه لشيطنية ، فأزال الخلافة وريالة الحلافة أمر هى عاية الضرر بالنسبة لتركيا ، فقد نزل بها أولاً من دولة فى الدرجة الأولى يحشى حسابها فى دولة فى الدرجة الثالثة أو الرابعة أو العاشرة .

ونزل بها ثانياً من دولة تتزعم العالم الإسلامى ، تأمر فيستجيب ،  
إلى دولة لا دىية ، وفقدت تركيا بذلك الرعامة

ثم أحد أأتاتورك يصرب بمعاولة فى وجه التشريع الإسلامى ،  
وفى رأسه ، وفى جسمه ، فأزال القانون الإسلامى ، وأحل محله  
القانون الوضعى حتى الأحوال الشخصية أفسدها إفساداً يعصب الله  
ورسوله ، فأباح زواج المسلمة بالمسيحية ووصل به الأمر إلى أن  
كان يضرب بالرصاص من لبس الزى الإسلامى ، وأعلن لا دىية  
الدولة التركية ، ومقصدها عن ماضيها ، وجعلها بكل ذلك دولة لا  
فى العير ولا فى العير ، وحيثما يكس التاريخ الإسلامى على حقيقته  
سيرى الناس أن أأتاتورك كان من المفسدين .

أما اللغة العربية فكان يمه ويسها ثاراً . لقد غير الحروف العربية  
وكتب التركية بالحروف اللاتينية ، فأزال بذلك ما كان بين اللغة  
العربية واللغة التركية فى ناحية الكتابة ، ثم قام بما سماه تصفية  
اللغة فأزال منها الكلمات الكثيرة العربية التى كانت بها ، وبعد  
بذلك بين اللغتين فى ناحية الموضوع .

وحيثما حدث هذا فى تركيا .

تطلعت العيون إلى الأزهر : إذ لابد للناس من أب روحى ..

ونظروا إلى شيخ الأزهر على أنه شيخ إسلام ، وكان شيخ  
الأزهر فى المستوى المأمون فيه . عالماً كأحسن ما يكون العلماء  
راهداً إيجابياً كأفص ما يكون الرهاد لإحياء ، مؤمناً بالله ،  
واثقاً فيه .

إنه يشهد أن لا إله إلا الله ، يشهدا بحمها ويرتفع إلى المستوى  
اللائق بالأب الروحي .

واحتلت مصر منذ ذلك الحين مركز الزعامة الدينية في العالم  
الإسلامي ، احتلت مركز الزعامة بسبب الأزهر الموجود فيها .  
والواقع أن الأزهر مكث ألف عام يقوم على الحفاظ على اللغة  
العربية وعلى الدين الإسلامي .

وحفظ اللغة العربية بهذا البحث الدائب الدائم في اللغة العربية ،  
ووقف في وجه كل النزعات التي أرادت بها شراً .  
إنه وقف في وجه الدعوة - بالسحق - إلى العامة .

ووقف في وجه الدعوة الملحدة إلى الكتابة بالحروف اللاتينية .  
إن طائفة من المحرفين أرادوا أن تغير الحروف العربية لتفصل  
الكتابة عن ماض من التراث عميق ، والله يعلم أنها ما أرادت  
إلا الإفساد .

وبدأ بهذا الانحراف أتاتورك ، وكان في أساس هذه الحركة كل  
أعداء الإسلام ، أخذ بعض الدول - مستجيبة إلى محطط  
لاستعماريين والملاحدة والمنحرفين على أي وضع تغير الحروف  
بالفعل ، والبعض الآخر يفكر في تغييرها .

رأيتي أعين هنا في غير لباس ولا غموض أن كل دولة فعلت  
هذا إنما فعلت ما يغضب الله ورسوله بل ما يمقته الله ورسوله ،  
وأن الذي ييؤ باللائم إنما هم المصدوب والراضون بالتفديد ، وأنه

يجب وجوباً دينياً أن يثور المؤمنون ضد هذا ويعارضوه ، كما أمكن  
التعبير إلى الحروف اللاتينية فإنه يمكن - وبصورة أسهل - التغيير  
إلى الحروف العربية .

وقام الأهر طيلة قرون على الحفاظ على العقيدة الإسلامية ، ووقف  
في وجه كل انحراف في العقيدة آت من الشرق أو من العرب  
ووقف في وجه هذا العرو الفكري الآتي من الشرق أو من  
العرب

إن الأمة الإسلامية رسالة هي رسالة الله إلى العالم . آخر الرسائل ،  
طبعها الرحمة لكل عوالم الله في الأرض وفي السماء ، ومن مبادئها  
العم وتركية النفس ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُرَكِّبُهُمْ﴾ (١)

وهذه الرسالة نقية صافية - هي المرر لوجود الأمة الإسلامية  
فإذا ما صحح العرو الفكري في الخروج بهذه الرسالة عن طابعها  
الرباني فإنه لا يوجد ما يمرر وجود أمة الإسلام .

ولقد قام الأهر طيلة قرون في وجه الرحف الفكري ليعلى لساس  
رسالة الله ، آخر . الرسائل ، صافية نقية .

ومن هنا كان المسلمون في مشارق الأرض ومعاربها يديون  
للأهر بالمصل يديون جميعاً له بالمصل في عقيدتهم ، وتدين له  
الدول العربية بالمصل في الدين واللغة .

وكان الأهر ومارا مقدسا عند هذه الشعوب ، وإذا سار شيخ

---

(١) البقرة ١٢٩

الأرهر فيها امتدت إليه الأعين ، وأصغت إليه الأذن ، وهمت إليه  
الأفتدة ، وغمره الناس بحبهم وتقديسهم .

وكذلك يفعلون مع المشايخ المتحرجين من الأرهر ، والذين يلسون  
الزى الأزهرى .

وهذه المكانة للأرهر يعترف بها المستعمرون والمشررون . يقول  
أحدهم : إن العمامة البيضاء في أفريقيا السوداء أحضر عيسا من  
القبيلة الدرية .

ويقول آخر :

لا يتأتى لنا الاستقرار في هذه لبلاد مادام الأرهر موجودا  
وتتساعل :

لمادا لم يستمر الأرهر على ما كان ؟

والواقع أن هناك عوامل كثيرة تكافحت على السور بالأرهر عن  
مكانته ، ومن أهم هذه العوامل هذا الاستعمار وهذا لتبشير وتبين  
بما سبق أنه كان لابد في نظر أعداء الإسلام من هدم الأرهر  
وبدأت عوامل الهدم :

بدأت السخرية بعماء الأرهر ، سواء أكان ذلك في المراحل  
الأولى من التعقيم وفي المراحل النهائية ، ومن المتحرجين والعلماء .  
بدأ ذلك في التمثيليات ، وفي الأفلام ، وفي الصحف ، وفي  
المجلات .

وكان المثل الصارح هو تلك القصة التي كتبها أحد كبار الكتّاب



بهرسا ، واتحد من قسيس فيها محالا لسخريته وتهكمه ، فإدا  
بالتليفزيون يخرجها أياها متولية متحداً فيها « شيخاً » مجالاً لتهكمه  
وسخريته ، وم يحد المخرج أو المشرف من يقول له . إن هذا  
إحراف ، ولم يعاقبه أحد ولم يسيء إليه إنسان .

وهذه الأقلام المأجورة التي تكتب هنا وهناك عن التشكيك في  
الدين وفي القيم الأخلاقية ، وفي الهجوم على التشريع الإلهي 11  
إنها لا تجد من يقول لها : إنك أقلام مأجورة ، وإن أقل ما يمكن  
في أمثال أصحابك أن يرجوا في السجن لتحرس مهم الألسن  
إن لكل بلد مقدسات ، ومن مقدسات أمريكا مثلاً النظام الرأسمالي  
ومن مقدسات روسيا النظام الشيوعي ، وهذه المقدسات لا تمس  
أليست العقيدة من المقدسات التي لاتمس ؟

إن المحرفين عقدياً ، والمحرفين أخلاقياً ، والمحرفين اجتماعياً  
على اختلاف ألوانهم يسرحون ويمرحون كيفما شاءوا في الأقطار  
العربية ، فلا يجنون من يردعهم .

وتتكاثر الأقلام المأجورة ، والأقلام المستوردة أو المحرفة ،  
ووسائل الإعلام في العمل على التشكيك في العقيدة والقيم الأخلاقية  
والتشريع الرباني ، وشر التحلل الأخلاقي بكل الطرق

وهذه الآراء المستوردة لى تسامى مع الدين ومع العصية ، والتي  
يروجها اليهود في كل مكان : هل تجد من يقف في وجهها ؟  
إن قراءة كتاب « بروتوكولات حكماء صهيون » مفيد كل الإفادة  
لعرفة المخطط الحيث الذي يقوم بتنفيذه اليهود

إنهم يتبنون كل فكرة منحرفة ، وكل رأى ضال ، ويحاولون  
عن طريق الصحافة والكتب والإداعة الترويج لكل محل ، وإدعة  
كل فاسد .

لقد تعاهدوا في موافقتهم على نشر آراء طائفة معينة من الدين  
اتحدوا مهة إبليس في العمل على إفساد العالم ، والترويج لها .  
إنهم يقولون

نحن الدين رتبنا نجاح كارل ماركس .

لقد رتبوا نجاحه لأنه يفسد على الناس النظام الطبيعي والرباني  
في الاقتصاد عن طريق اذهب لشيوعي ، وهو مذهب يتنافى مع  
الطبيعة ومع الأديان .

وهو - من أجل معارضة الأديان له يدعو إلى إرالة الدين ،  
ويقول عنه : إنه أفيون الشعوب .

لما قيل له : ولكن لا بد من بديل عن الدين لأن الناس لا يعيشون  
بغير عقيدة ، قال إن البديل للدين هو المسرح ، الهوهم بالمسرح ،  
انشرو المسرح في كل مكان فيجد فيه الناس اسديل عن الدين ،  
ثم إن الشيوعية عقيدة .

وأخذت معاول الهدم الشيوعية تنال من الدين في كل مكان  
تسود فيه الشيوعية ، وهي لا تنال من الدين بأسلوب فيه هودة  
ورأفة ، وإنما تنال من الدين ومن رجال الدين بأسلوب عسف قاس .  
إنها محارر تقام ودماء تسفح ، وسجون تملأ ، وتنس في  
التعذيب ، أما الحراب فإنه ثمرة كل ذلك .

وكارل ماركس يهودى .

ويقول اليهود فى بروتوكولاتهم :

نحن الذين رتبنا لنحاح دارون

ودارون هو صاحب نظرية التطور أو الشوء والارتقاء ، أو كما يقول

التعبير الشعبى ، الإنسان أصله قرد .

وهى نظرية تنهى مع كل الأديان التى ارتقت بالإنسان معبرة

عن الحقيقة الكريمة الإنسانية أصلاً آدم حقه الله بيديه ، وسواه

ونفخ فيه من روحه ، وبدأ إقامته بالحجة .

وهرف هائل بين الطريقتين :

ونظرية دارون م تبت ، وهى فى كل يوم تزداد ضعفاً وتوشك

الأوساط العنمية أن تلعظها نهائياً

إن الإنسانية متظوره فى علوم مادية المكتسبة ، وهذه حقيقة

لاجدال فيها لقد تطورت من لإبرة إلى ماكينة الحياطة ، هذه

لماكينة التى تطورت هى الأخرى من حان إلى حال

وتطورت فى وسائل طهى الطعام .

ونظورت ومارالب فى جميع أدوات الطب وآلات الهندسة .

ولكن الفكر عقيدة وأخلاق وتشريع - والدين ، والذكاء ،

والعقل . إن كل ذلك لا تصور فيه ، ويف عن الإنسانية الحاية علومها

المادية وما اكتسبته من ثقافة حسية متوالية ، ومرتب بعضها على

بعض . سحدهم هى الإنسانية التى كالب قبل التريخ فكراً وعقلاً

وذكاء .

هذا هو الواقع ، أما إذا قلت إن الإنسانية متطورة عقلاً ودكاء ودهماً ، فبذلك تكون قد هدمت كل القيم الفاصلة بحرة فلم ، وذلك أنه مدامت الإنسانية - فكراً وعقلاً ودكاء ودهماً متطورة ، فإن كل قيمها الفاصلة الحالية نسبية متصورة معها . فلا يتأتى الحديث عن حق في العقيدة ، أو عن حق في الأخلاق ، أو عن حق في التشريع ، أو عن حق في نظام المجتمع ، وتنهار بذلك الأخلاق ولأديان ، والقيم والمثل ، ولا يصح للإنسانية إلا الشهوات ولعرائر إذا أحصت القيم العليا بنسبية وللتطور فلا قيم ، وثمرة نظرية درون أو خرافة دارون إنما هي هدم القيم العليا .  
ومن أجل ذلك رتب اليهود نجاحها .

ويقول اليهود :

نحن الدين رتبا نجاح ، فرويد .

وفرويد هو العام اليهودي المربى ، ونظريته أكرم مثل على لتريف الذي يتحالف فيه المربى مع الشيطان ليمسدا الإنسانية في الطرة إلى فبائنها ومثلها ومكارم الأخلاق فيها .

إنه يعرف بانسحافة كل عمل وكل سعى إلى باعث من لعزيرة الجنسية ، وليس سعى الإنسانية إلا نوعاً من إرضاء هذه لعزيرة .

ورتب اليهود نجاحه ليحطوا بالإنسانية من مثل على ومكارم أخلاق إلى عزيرة هي العزيرة الجنسية .

الرحمة ، الرأفة ، العطف على اليتيم والمساكين ، الشعور بضرورة

العدالة ، الإصاف ، مركبة النفس ، المروعة . كل ذلك في أساسه إنما هو انغرية الجنسية .

وليس بغريب أن يقول فرويد اليهودي ذلك ، وليس بغريب أن يرتب اليهودي نجاحه من أجل ذلك ، لأن في ترتيب نجاحه هدم بمعاول من فولاد نكل ، مثل الديانة الكريمة .

ويقول اليهودي . نحن الذين رتبنا نجاح بيتشه .

وبيتشه هو المكر للأديان وللألوهية وللأخلاق ، وهو يحدد دعوة أيقور بالاستمتاع على أية وسيلة كان الاستمتاع

بـه يقول . إذا كان استمتاعك في أن تسيل الدماء أنهارا ، وأن تمشي على رؤوس بني البشر فلتفعل

وهو الذي يقول : إن ما تعارف عليه الناس من أخلاق وفضائل إنما هو ضعف في الطبيعة .

ومن سخرية المقادير أن هتار طلق على اليهود نظريات بيتشه فأقاموا الدنيا وقعدوها صرخا وولولة واستعانة ، وكان ما فعله هتار هو نوع من ثمرة دعايتهم لبيتشه ، فقد طلق عليهم نظريات من رتبوا نجاحه .

إن اليهود رتبوا نجاح هؤلاء ، ورتبوا نجاح كل مفسد ، ونشروا كل موقفة ، ودعوا إلى كل انحراف ، وفعلوا ذلك عن تخطيط ، هو إفساد الإنسانية لبسودو من وراء ذلك ، ويتمكوا ، ويسيطروا على العالم

ووقف الأهرام في وجه كل ذلك ، وقف كالصود الراسخ يدافع

عن الداتية الإسلامية ، ويحاول في صمود لا بين أن يعنى عن اداتية  
الإسلامية الدحين والعزو الفكرى ، وما لانت قنانه يوماً م  
وكان لابد من النيل منه فى أسلوب متستر ، أو فى أسلوب  
سافر - ودأب الذين استجابوا للانحراف على النيل منه مراراً وتكراراً .  
وهذا الدأب اطلع جعل بعض الطيبين يساقون - عن غير شعور -  
إلى نقد الأهرر متسترين أو معلنين ، وأصبحت مصيبة الأهرر بهم  
هم الآخرون كبيرة .

والذى أحب أن أقوله عن ملاحظة دقيقة هو أن كل شخص  
يحاول النيل من الأهرر إنما فى قلبه دغل ، وفى نفسه شر . سواء  
أكان من المحرفين بالفعل ، أو من « الطيبين المفعلين » الذين حذعهم  
كثرة نقد المحرفين فساروا وراءهم .  
والذى أحب أن أقوله أيضاً إن الأهرر فى محنته الحالية لا يجد  
من يأخذ بيده من هؤلاء المؤمنين النابهين .

وفى مصر والحمد لله - من المؤمنين النابهين الكثير ، ولكهم  
انصرفوا فى إهمال غير شاعر ، أو فى نوع من السلوك اللاشعورى  
عن الأحد بيد الأزهر ولحدب عليه ، وهم بذلك آثمون  
وتحب أن أعسها سافرة وأقرب . إذا تكاتف المبطلون على النيل  
من الأهرر فى الإذاعة أو فى التليفزيون أو فى الصحف أو فى  
ميرانيته أو فى سيره فى نهضته ، فإنه يحب أن يشكاتف الحيرون  
عن أن ينصروه مجاهدين بذلك فى سبيل الله ، فإذا لم يفعلوا ذلك  
فهم آثمون : آثمون فرادى ، وآثمون جماعات .

ما هو الأهر ؟

إنه الممثل للإسلام ، القائم على نشره .

إنه رمز الإسلام ، فإذا أهين رمز الإسلام أو بين منه فإن على هؤلاء الدين يشعرون بالإسلام يمثلاً حواشهم أن يهوا مدافعين عنه ، وهم بذلك إنما يدافعون عن الإسلام ويصرونه .

وهؤلاء الدين يمثلاً حب الوطن أفئدتهم يجب عديهم أن يأخذوا بيد الأهر ، لأنه هو الذى مكن لمصر أن تحتل مركز نزاعية بين الدول الإسلامية .

أما أبناء الأهر فيجب عليهم أن يمثلوا الأهر خير تمثيل . سلوكاً وعلماً ، وكل من حاد من أبناء الأهر عن الاستقامة . سلوكاً وعلماً ، فإنه في مقت الله وفى عصبه ، وإثمه عند الله أكثر من إثم غيره

يجب على أبناء الأهر طلاباً وأساتذة أن يمثلوا حقاً انحلالة لرسول الله ﷺ ، وقد كان من شعاراته

﴿رب زدنى علماً﴾<sup>(١)</sup>

وكان منها :

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

تولى مشيخة الأهر وهو فى أوج جهاده فى ثلاثة مبادئ

١ - ميدان الجهاد فى المجتمع حتى تسقى الأمور

٢ - ميدان تربية المريدين .

---

(١) طه ١١٤

### ٣ أيدى العلمى وإثراء الفكر العربى والإسلامى

أما الميدان الأور فقد كان أشق الميادين ، وذلك أن لراع بين الممالك بعضهم وبعض كان مستمراً ، ولراع بينهم وبين الشعب أيضاً كان مستمراً

كانت شهوة احكم والسيطرة والسلطان فى نفس كل زعيم من رعماء الممالك ، ومن هنا كانت المؤامرات والعدر والحروب مستمرة لانكاد تهدأ ، وكانت إلتناوات والضرائب تفرص على الشعب الذى يوء بحملها ، ومن أجل ذلك كان تدمره

كيف يستقر الأمر ؟ وكيف يهدأ المجتمع ؟

لقد شعل ذلك كثيراً من وقت الشيخ وجهده ، ولم تكن الأمور ميسرة ولكنه لا بد مما ليس مه ند ، وما ليس مه ند هو حمل الرسالة التى نيطت به .

وهى السجهد للإصلاح فى جو الممايك فيما بينهم ، وبالإصلاح فيما بينهم وبين الشعب .

وحمل الشيخ الرسالة فى قوة ، وأأحد من ذلك مثلاً واحداً بين لصورة اقوية التى كان يتدخل الشيخ بها فيما بين الممايك .

لقد كان الراغ بين الممالك على قدم وساق ، وانقسموا كما هى العادة إلى فريقين متعارضين مسلحين ، وهما هى الحرب - إحدى الحروب توشك أن تبدأ ، وبصور لخبيرنى ذلك فى دقة ، وبقتصع من الجرتى فى قطعة من حديثه مفصدة عن السابق ها واللاحق بها إذ أنها على هذا السق كافية فى بيان المطلوب ، يقول الخبرتى .



... . ففعل الأمراء جمعية ، وعزموا على تشهيل تحديده ،  
وتكلموا وتشاوروا في ذلك ، فتكلم الشيخ الحصاوي في ذلك المجلس  
وأفحمهم بالكلام ومانع في ذلك وقال . « أحرستم الأقاليم والبلاد ،  
في أي شيء هذا الحال وكل ساعة حصام وبراغ وتحاريد ؟ على  
بك هذا رجل أحوكم وخشداشكم ، أي شيء يحصل إذا أتى وقعد  
في بيته واصططحتم مع بعضكم وأرحتم أنفسكم والباس ؟ »  
وحلف أنه لا يسافر أحد بتحريده مطلقاً ، وإن فعلوا ذلك لا يحصل  
لهم خير أبداً .

فقالوا : « إنه هو الذي يحرك لشر ويريد الانفراد بنفسه ومعاليكه  
وإن لم يذهب إليه أتى هو إلينا وفعل مراده فيما » .  
فقال لهم الشيخ « أنا أرسل إليه مكاتبة فلا تتحركوا بشيء حتى  
يأتي رد الحواب » .

فم يسمعهم إلا الامشان ، فكسب له الشيخ مكتوباً ووجهه فيه  
وزجره وبصحه ووعظه وأرسلوه إليه .

فم يلبث الشيخ بعد هذا المجلس إلا أياماً ومرض ورمى باند  
وتوفى إلى رحمة الله تعالى ، فيقال إنهم أشغلوه وسعوه لينتمكوا من  
أغراضهم ، ا . ه .

بعد أن مات الشيخ اخفى قم الأمراء بما أرادوا ولكن كلمة  
الشيخ اخفى لهم : « وإن فعلوا ذلك لا يحصل لهم خير أبداً »  
تحققت تحقفاً كاملاً وذلك أنهم لم يحصل لهم خير وهرموا  
ونكتفى بهذا سبب مكانة الشيخ الذي لم يجرؤ أحد منهم على

مواجهته علانية مع ما فيهم من عطرسة وكبرياء ، ومع ما لهم من سلطان وسيطرة .

وإذا كانوا قد أسروها في أنفسهم واتبعوا أسلوب الخيانة والغدر بالنسبة للشيخ فإن الله سبحانه أراهم عاقبة مكرهم ولا يحقق المكر السيئ إلا بأهله .

وكان الشيخ إذ ذاك في الثمانين من عمره تقريباً .  
هذا نموذج مما كان يقوم به الشيخ من جهد في إصلاح أمر المجتمع وإعادة الوحدة له .

٢ . وفي صدد صلاح المجتمع أيضاً من الناحية الشعبية أخذ الشيخ في تربية المريدين ، لقد أخذ في تربية المريدين من قبل مشيخة الأهر ومن بعدها .

ولقد أخذ في تربية المريدين بعد أن أمره شيخه بذلك وقد كان قبل هذا الأمر متمتعاً امتناعاً تاماً عن ذلك لا بد من الإذن ولا بد من الأمر . أما الوعظ العام وأما الصيحة فقد كان الشيخ قائماً بهم من قبل أن يكون مريداً ومن بعد أن كان مريداً ، ومن قبل أمر الشيخ له بأخذ العهود ومن بعد : وذلك أنهما لا يحتاجان إلى أمر فهما داخلان في نطاق الدعوة العامة التي أمر المسلمون بها

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾<sup>(١)</sup> .

ويقول الشيخ حسن شمه :

---

(١) التحل : ١٢٥

اعلم أنه حين تصدى للتسليك وأحد العهود أقبل عليه الناس  
من كل فتح عميق لأحد الطريق ، وكان في بدء الأمر لا يأحدون  
إلا باستحارة واستشارة وكتابة أسمائهم ونحو ذلك من آداب ، فكثر  
الناس عليه وكثر الطلب فأحير شيخه السيد الصديقي بذلك . فقال  
له لا تسمع أحداً يأخذ عنك ولو بصرائياً من غير شرط ، قال رضى  
الله عنه : فبرت عقب ذلك لريرة سيدى أحمد البدوى ، فلقبى  
خلق كثير لأحد العهود فرأيت فيهم بصرائياً ومنعوه قال ، فتذكرت  
قول أستاذنا لا تسمع أحداً ولو بصرائياً فقلت هم ، دعوه لعل الله  
أن يهديه فكان كذلك ، قلت تقدم أنه أسسم على يديه خلق كثيرون  
من الصارى فحيث كثر الناس وم يسمع أحد أبداً حتى الآن

ولقد عد الشيخ حسن شمه ما يقرب من ثلاثين علماً من كبار  
العلماء ، أخذوا العهد عليه ، وهؤلاء العلماء كانوا هداية لمجتمع :  
إرشاداً وسلوكاً .

لقد كانوا دعاة بعلمهم العرير وتآليفهم النفيسة ، وكانوا دعاة  
بسلوكهم المستقيم ، وكانوا دعاة بالموعظة تحرج من قب أسسم  
مقلده لله سبحانه

ولقد رزح الشرح حسن شمه لكل منهم بترجمة مناسبة ، وأرّج  
للكثير منهم الحزنى بكلمات تعبر عن سماتهم وعن جهادهم فى  
سبيل الله .

وبكتفى عن ها من بين هؤلاء بنقل ترجمتين من هذه التراجم ،  
ولاهما ترجمة الشيخ الدردير رضى الله عنه ، ولشيخ الدردير مكانته

ومرلته في انعم والتصوف ، إنه مؤلف من حيار المؤلفين وهو قدوة  
يأتى برسول الله ﷺ في سلوكه . وله مكاتبة في الأجواء المصرية  
على اختلاف درجاتها في الثقافة ، وقد كان من كبار المحبين بشيخه ،  
وقد كتب عنه كتاباً مستفيضاً .

يقول الشيخ حسن شمه عنه .

ومها شيخ الفروع والأصول ، الجامع بين المعقول والمنقول ،  
الحائز قصب السبق في مصمار العلوم ، علامة الزمان ، والحامل في  
وقته نواء العرفان ، حاتمة المحققين ، وإنسان عين المدققين ، الشيخ  
أحمد العدوى الملقب بدردير ، شغل رضى الله عنه بالعم على مشايخ  
كثيرين ، وأحد عظماء المعقول وسفوف حتى برع وفاق معاصريه  
وأدب به بالافتاء والتدريس ودرس وأفاد وألف فأجاد ، ثم جسيته لعاية  
إلى نادى الهداية ، فحده إلى الشيخ وطلب منه تلقين الذكر ، فبقه  
وسر أحسن سير وسلوك أحسن سلوك ، ثم لبس التاج وصار خليفة  
مُجَاراً تأخذ العهود والتلقين والتسبيك ، مع المحاهدة والعمل المرضي  
الموافق للكتاب والسنة . سمعت أستاذي يثنى عليه فيقول : ماله نظير .  
وحاله جميل ، وهو من الصديق في درجة عيب ، ومن الأدب والنواضع  
في أعلى منها . وسمعتة يقول لأستاذي كنت قد أنيوم أقول وأنا  
اليوم أكثر مرادى مكتم لو أن تعرفوا واحداً يقال له أحمد الدردير في  
الوجود أى فإن ذلك عايتة ، عره وشره رضى الله عنه وعنا به . .

أما الترجمة الثانية فيتحدث عنها الشيخ حسن شمه قائلاً

ومهم [من أخذ عن الشيخ الحفنى] علامة وقته وأواه ، الأحد

من كميت البلاغة بعنايه ، الولي الصوفي ، من صفا فصوفي ،  
امدره البارع اللسان ، يحقق الإنسان ، الشيخ حسن الشينى ثم  
الموى ، رحل من بلدته فوه إلى الجامع الأزهر للاشتغال بالعلم ،  
وأخذه عمس يؤخذ منهم ، فحين دخله حصر مجلس العالم العلامة  
الفقيه المدرس الشيخ أحمد الديري ، فجمعه محلياً عليه هي الدرس ،  
فقبل له في ذلك ، فقال : هذا عالم ما جاء من بلده حتى قرأ  
الأشمونى والمحتصر ونحو ذلك ، أحري ، نفعا الله به ، أنه كان  
ملازماً لولى من أولياء الله تعالى فحين تعينت نفسه بالجامع الأزهر ،  
وجه مع هذا الولي لزيارة ثغر دمياط فنام إلى جانبه ليلة قرآه في  
الوم وقد أسقاه من إريق لباً أو ماءً ، وقال له . هذا علم النحو  
وهو أصعب العلوم في الأزهر ، قل لى ، ثم انتهت فقلت له  
يا مولانا الشيخ رأيت ما هو كذا فقال لى على الفور . أسكت ،  
أصغاث أحلام ، لأن الولي المذكور من الملامية لا يحب أن يظهر  
لنفسه حلاً ، ثم أنه جاور عقب ذلك بالجامع الأزهر ، فحين  
اشتغل بهذا العلم فتح عليه في أقرب مدة ، ثم اشتغل بأحد علم  
الفقه وغيره من حديث وتفسير وأصول ومطلق ومعاني وبيان وغيرها  
من سائر العلوم العقلية والنقوية ، حتى برع وفاق على أقرانه ، وصار  
علامه زمانه ، وجديته أبدى العايه إلى حضرة أستاذى فأحد عيه  
العهد ، ولقنه أسماء الطريق السعة على حسب سلوكه في سيره ،  
ثم ألبسه التاج وأجاره بأحد العهود والتلفيق والتسليك وصار خليفة  
محضاً ، فأدار مجالس الأذكار ودعا الناس إليها في سائر الأقطار ،

وفتح الله عليه باب العرفان حتى صار يطق بأسرار القرآن ، ويتكلم في الحقائق فيعبي الصامت والباطق ، سمعت أن أستاذي قال ، وقد ورد عليه منه مكتوب . الحمد لله الذي جعل في أتباعنا من هو كمحيي الدين بن العربي ، قلت وسمعت منه رضى الله عنه وهو يقول في حقه الشيخ حسن لشيبى هـ أكبرى أعطاه الله قوة في معرفة علم أهل العرفان ، وإنه أعلم مني بهذا الفن ، وإذا تكلمت معه فيه فإنما هي مشاركة ، ولا فانا لا أفهم كفهمة وناهيت بهذه الشهادة ا

ورأيت به تأليفاً على أسماء الله الحسنى شرحها بلسان الحقيقة من دوقياته فأبدع وأعرب وبرع وأعرب : ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾<sup>(١)</sup> غير أنه لايس ثياب الجمول وسالك من باب الدل في الوصول كثر الله في الوحور من أمثاله وأفاض عليه وابل بفصاله

٣ - أما الأمر الثالث الذي كان الشيخ معنياً به أثناء توليه مشيخة الأزهر فهو الجانب العمى ، وقد كان معنياً بهذا الجانب قبل توليه مشيخة الأزهر ، ولكنه حين تولى مشيخة الأزهر عنى على الخصوص بسنة رسول الله ﷺ وبرع في ذلك براعة فائقة وأصبح في هد من كبار المحدثين رواية ودراية

لقد شرح في هذه المئرة كتاب « الجامع الصغير » للإمام السيوطي وكتاب الجامع الصغير هذا رتبة الإمام السيوطي على حروف المعجم ، وذكر فيه الأحاديث مرتبة بحيث إذا عرف الإنسان أول

(١) الجمعة : ٤

احديث يمكنه أن يكشف عليه هي الكتاب المذكور ، فيعرفه ، ويعرف  
درجته أيضاً من الصحة والخس والصعف ، وهو كتاب لا يستعنى  
عه عالم من علماء الشرع محدثاً كان أو فقيهاً ، وفيه أكثر من  
عشرة آلاف حديث .

وقد انتهى أبو الأنوار من شرحه قبل أن ينتقل إلى رحمة الله تعالى  
بعامين تقريباً . إذ يقول أحد مریدی الشيخ في نهاية الكتاب : « وكان  
المراع من قراءة شيخنا العلامة محمد الحفي لهذا الجامع في يوم السبت  
المبارك السابع من شهر ربيع الأول من شهر سنة تسع وسعين ومائة  
بعد الألف من الهجرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام »

وهذا الشرح أو هذه الحاشية - على احتصارها - تبين أن الشيخ  
برع في كل العلوم الإسلامية . من حديث وفقه وعبرها ، وفي  
العلوم العربية من نحو وصرف ولغة .

والذي يعنيها هنا على الخصوص هو : احصى محدثاً

ومن أجل ذلك ركز على ماورد في شرحه للجامع الصغير .  
ونكتفي بمذبح وإلا فإن الكتاب بأجمعه جدير بالتأمل المتصر ،  
ونبدأ بتعريفه للسنة ، إنه يقول :

١ . تطلق السنة على ما أحد من الأحاديث صريحاً من الأحكام  
التي لا يمكن أخذها من الكتاب إلا بمريد مشقة اجتهد واستباط  
ومن ذلك قوهم : دل على هذا الحكم الكتاب والسنة

٢ . ويطبق السنة على ما ثبت كونه مطلوباً مقالاً معرض سواء  
ثبت بالكتاب أو السنة أو الإجماع .

٣ - وتطلق على ما واطب عليه ﷺ .

فلها ثلاث اصطلاحات .

٤ - لكن في لفظه تطبق على ما فعله ﷺ سواء واطب عليه أم لا ؛ فالأول المؤكد ، والثاني المستحب ، فيكون اصطلاحاً رابعاً<sup>(١)</sup> .

أما عن كتب لسة امتدولة فإنه يقول عن بعضها .

الجامع الصحيح للبخاري ألفه في مكة ، وكان لا يصعب فيه حديثاً إلا إذا اعتسل من ماء زمزم ، وتطيب ، وصلى ركعتين .  
وأخذ من مئة ألف حديث .

ومسلم : أحذه من ثلاثمائة ألف حديث .

وقد ألان الله تعالى الحديث لأبي داود كما ألان الخليل لسيدنا داود وكتابه من الكتب الأربع .

وفيها الصحيح والحسن والضعيف بخلاف البخاري ومسلم ليس فيهما الضعيف بل : الصحيح والحسن .

أما عن مسند الإمام أحمد فإنه يقول :

أى الأحاديث المسندة ، وفيه نحو ثلاثين ألف حديث ، وقيل أربعين ألفاً ، وليس فيه موضوع إلا أربعة ، منها حديث دحون عبد الرحمن بن عوف الجبة ، زحماً كما ذكر الباقى ، وإن وجد فى كتب الأفاضل ؟

(١) حاشية الحصى على الجامع الصغير ج١ ص ٢٢٠



وعن « الحسية » لأبي نعيم وهو ليس كتاب حديث ، ولكن به  
أحاديث كثيرة ، يقول :

« نعيم » يضم الميم ، ولشدة تعلق الناس بالحسية لما ألف : بيع  
بأربعمائه دينار .

ولا يأخذ الشيخ إحصائي أحاديث الجامع الصغير على أنها مسلمة  
صحيحة أو حسنة وإنما يربها بموازين المحدثين ومن ذلك الحديث  
الآتي

إن الله تعالى إذا أراد بالعباد نقمة أمت الأطفال وعقم النساء  
فتنزل بهم النقمة وليس فيهم مرحوم . الشيرازي في الألقاب عن  
حذيفة وعمار بن ياسر معاً

(قوله نقمة) أي انتقاماً . وهذا الحديث موضوع كما بقده الحافظ بن  
حجر ويدل لوضعه ما ورد في البحارى : « نهلك وفينا الصالحون  
يا رسول الله ؟ فقال : نعم ، إذا كثرت البهائم » فهو يدل على حصول  
الانتقام ولو مع وجود أهل الرحمة من الصالحاء والأطفال ، فيعارض  
معنى هذا الحديث ، ولا يحتاج إلى تأويل حديث البحارى إلا لو صح  
هذا ، وما ورد لولا شيوخ ركع .. إلخ لا ينفيه لأن حصول  
الرحمة بسبب هؤلاء لا ينفي أنه قد ينزل ما وبهم الانتقام في بعض  
الأحيان ، وقوله وعقم النساء تشديد لقاف يقل عقم كمرح ونصر  
وكرم ، وعنى وعقمها الله وأعقمها ورحم معقومة أي مسدودة  
لا تلد . هـ بخط بعض لفضلاء والمؤلفون يفتتحون كتبهم بحديث :  
« إنما الأعمال بالنيات » .

وكان البادئ بذلك هو الإمام البخاري حينما بدأ رحمه الله تعالى  
صحيحة بهذا الحديث الشريف .

وقد ذكر الإمام السيوطي هذا الحديث في حتام مقدمته وتحدث  
الإمام الحفصي عن هذا الحديث من جهة السند ومن جهة المعنى فقال  
عن انسيد : قوله « عن أبي سعيد » الحديث ، وقوله ابن عساكر  
بالرفع ، أي ورواه ابن عساكر عن أنس بن مالك ، وكذا الرشيد ،  
أي رواه الرشيد عن أبي هريرة ، فهو مروي عن أربعة من الصحابة .  
عمر بن الخطاب ، وأبي سعيد ، وأنس ، وبي هريرة ، لكن لم يصح  
غير طريق عمر رضي الله تعالى عنه ، فذكر المصنف للثلاثة الأحرار  
يوهم أنها صحيحة أيضا مع أنه تكلم في أسانيدنا بالصعف ، إلا أن  
يقول : ذكرهم . لاتفاق الأربعة على لفظ الحديث ، أي فهذه الطريق  
وإن كانت صعبة لم تحالف الطريقة الصحيحة ، ولا يقال . إن هذا  
الحديث رواه ينف وثلاثون صحابيا فلم اقتصر على الأربعة ؟ لأنهم  
إنما رووا حديث النية ولم يذكروا هذا اللفظ بتمامه كالأربعة فندا  
اقتصر عليهم ؟ <sup>(١)</sup> . ا . ه .

أما من جهة المعنى فإنه يقول :

« وقوله : « إنما الأعمار . الخ » حتم خطته بهذا الحديث اقتداء  
بالسلف والخلفاء الأربعة فإنهم ذكروه في حصصهم على المسر فقدمت  
بهم المؤلفون ، وجعلوه آخرًا من الخطبة وإشارة إلى أنه ينبغي لشارع  
في تأليف أن يحرر نيته فيه .

(١) الحفصي عن الجامع الصغير ج ٦

« قوله بالسيات » أى لا أعمال إلا بنية ، أى لا صحة ، أو لا فصيلة وكال : إذ صورة العمل توجد بدون بنية ، والمراد الأعمال المتصفة بالعبادة ، فحرج بنية الكافر فلا تصح إذ عمله لا يتصف بالعبادة ، والمراد عالماً ، فلا يرد نحو الصدقة ، والوقف ، وعمل الميئ ، وإرادة السجاسة ، وترك الرد ، فإن ذلك يصح بدون بنية ، لكن لا يحصل الثواب إلا إذا نوى ذلك فلا يحصل له ثواب إزاله السجاسة إلا إذا قصد امتثال الشرع فى الواجبة والمندوبة ، وقس الباقى <sup>(١)</sup> .

ويقول :

قوله : (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ) هذا بيان للسبب فى الحديث وتوضح لما يرتب على الحَمَنَيْنِ السابقَيْنِ ورجح للمهاجر بهذا المقصد ، فإنه لا يسعى النليس بالطاعة طاهراً وفى الناطر قصد غيرها فإندم إنما جاءه من جهة أنه فى الظاهر مهاجر لله ورسوله وفى الناطر قصد غير ذلك فلا يقال . إن محصيل الدنيا ساج لا يدم عليه بل يكون عادة إن قصد بتحصيل لنكاح الإعفاف مثلاً أو قصد بتحصيل ائمال كفاية عياله وأصل الهجرة الانتقال من وصى إلى مكان آخر ، والمراد هنا المكان المعوى لا الحسى أى من كان انتقاله من شهوات نفسه إلى طاعة الله تعالى . الح .

« قوله لِدُنْيَا » فى رواية إلى دنيا ويحور كسر الدال ، وهى جميع المحبوبات وذلك أظهر من القول بأنها الأرض وما عليها

(١) الحصى على الجامع الصغير ص ٦

والجو والهواء لحروح السماء وأهلها ، وتطبق الدنيا على الذهب  
والفضة ، وعلى ما يتمتع به ويتوسط به من ذهب أو فضة أو امرأة  
أو ملبوس ، وهذا الأخير هو المراد بها<sup>(١)</sup> .

ويصحح الشيخ الحفنى بعض الأحاديث التى تدور على السنة  
بعض العامة بزيادة لفظ يفسد معانها وذلك مثل :

« حُبَّ إِلَى مِنْ دِيَاكُمْ النِّسَاءُ وَلَطِيبُ رَجَعَلْتُ قَرَّةَ عَيْنِي فِي  
الصَّلَاةِ » رواه أحمد وغيره عن أس .

فإن العامة تقول : « حُبَّ إِلَى مِنْ دِيَاكُمْ ثَلَاثَ »

(قوله حُبَّ) م يقل أُحِبُّبْتُ إشارة إلى أن حبلته ﷺ مجبوبة على  
حب أمور الآخرة دون أمور الدنيا ، ولكن الله تعالى حبه هذين الشيئين  
من أمور الدنيا لكثرة ما يترتب عليهما من الخير ، فإن النساء يترتب  
على حبهن كثرة التماس ، وأيضاً هناك أمور يستحيا من ذكرها فلم  
يبلغنا تشريعها إلا من زوجاته ﷺ ، فلولا محبة النساء وتزوجه بهن  
لما بلغنا ذلك ، والطيب وإن كان فيه تنعم فى الدنيا إلا أنه قوت أرواح  
الملائكة ، وأيضاً طيب النساء يترتب عليه جماعهن المقترب عليه كثرة  
السل ، وما اشتهر من زيادة لفظ ثلاث هكذا حُبَّ إِلَى مِنْ دِيَاكُمْ  
ثلاث لا أصل به : إذ لفظ ثلاث يغير المعنى لأنه إنما ذكر اثنين وفصل  
الأخير بقوله رجعت قرة الخ ، فالصلاة وإن كانت تقع فى الدنيا  
إلا أنه ﷺ مجبول على حبها لا أنها حست إليه ، وفى قوله دِيَاكُمْ  
دون دِيَاى أو دِيَان إشارة إلى أنه ﷺ إنما يضاف إليه أمور الآخرة .

(١) الحصى على الجامع الصغير من ٦

ويحل الشيخ رضى الله عنه الكثير من المسائل التى تشير جدلا كثيرا بالفاظ بسيرة ووضوح فى الحل وذلك مثل « يمين الرحمن » فى الحديث التالى .

« إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ وَكُنَّا يَدَيْهِ يَمِينٍ : الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا بَيْنَهُمَا » الإمام أحمد وغيره : عن ابن عمرو .

( قوله مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ ) من النبر وهو الارتفاع فسميت بذلك لارتفاعها وهذا حقيقة ، ويحتمل أنه كناية عن ارتفاع مراتبهم عنده تعالى كمن هو مرتفع فوق منبر

( قوله عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ) مذهب السلف أن ذلك عبارة عن صفة تسمى يمين الرحمن لا تعلم حقيقتها ، ومذهب الحلف يؤولون ذلك بأن المراد شدة قربهم منه تعالى قربا معويا ولما كان يتوهم من إثبات اليمين إثبات اليسار دفع ذلك بقوله وكُنَّا يَدَيْهِ يَمِينٍ والثنية ليست على حقيقتها بل المراد التكثير على حد ليث ، أى جميع صفاته يمين أى جميل ، وذلك أن تجرى الاستعارة التمثيلية . حيث شبه حال هؤلاء بحال خدام ملك بلدوا الجهد فى خدمته فقدم هم كراسى وأجلسهم عليها غاية الإكرام .

( قوله وَمَا وَكُنَّا ) بضم الواو وتشديد اللام أو بفتح الواو وتحفيف اللام وعلى كل عطفه على حكمهم من عطف العام أى عدوا فى حكم القصء وفيما ولو عليه ولو غير حكم القصء كنصر على وقف .

ويتحدث شيخنا عن بعض زوايا الإصلاح في المجتمع فمن ذلك شرحه للأحاديث الشريفة التالية :

« يَا لَنْ نَسْتَعْمِلَ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ » الإمام أحمد وعيره عن أبي موسى (قوله يَا لَنْ) وفي رواية لا نستعمل ، وسبب الحديث أن أبا موسى الأشعري دخل مع ابني عمه عليهما السلام فقال أحدهما . يا رسول الله إن البلاد كلها لك فأمرنا على بعض البلدان ، وقال الآخر مثله ، فذكر الحديث . أي لأن من أراد الإمارة وطلبها كان فيه رية ، فمن أراد شيئاً وكل لنفسه ، ومن أريد منه شيء أعانته الله عليه ، وفرق ما بينهما فمن طلب القضاء ومحوه من السلطان لم يجه إلا إذا تعين للقضاء ، أو كان مستحقاً في بيت المال ولم يصل إلى حقه إلا بالتولية ، أو كان حاملاً ولا يمكنه بشر علومه إلا بهذه التولية فيجاب في هذه الأحوال الثلاثة ، وما عداها يرد فيحمل هذا الحديث على أن أبي عم أبي موسى الأشعري ليس فيهما أحد الحاصل الثلاث .

« تَدَاوُوا عِبَادَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَصْغُ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً » غير داءٍ واحدٍ ألهم . (الإمام أحمد وعيره) عن أسامة بن شريك . (قوله تَدَاوُوا إلح) فلا ينبغي إهمال التداوي للتوكل ولداً مرض سببنا موسى فقالت له بنو إسرائيل تداو بكذا فقال لا أتداوى بقولكم بل بالوحي وإنما أنتظر الشفاء من الله تعالى فلم يحصل له الشفاء ، ففرى الوحي عليه أن تبطل حكمتي التي وضعتها في العقاقير فمن خلق العقاقير عيرى ، فلما أدى خلقتها وأحسن الشفاء عند تعاطيها ، ولا يرد على ذلك قول الصديق رضي الله تعالى عنه حين

قالوا له أنأتى لك بطبيب ؟ فقال : إنه نظر لى ، فقالوا له . ماذا قال ، فقال . قال لى : أنا الفعال لما أريد ، أى لأنه علم بنور قلبه أنه قرب أجله فلم ينفعه الدواء . وكذا أهل الله تعالى منهم من يطلعه الله تعالى على عدم نفعه بالدواء فيتركه ، أما من لم يبلغ هذا المقام فلا يترك التداوى نظراً بالتوكل .

« تَعْلَمُوا الْعِلْمَ وَتَعْلَمُوا بِلَعْلَمِ السَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ وَتَوَضَّعُوا لِمَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ » الطبرانى فى الأوسط وغيره : عن أبى هريرة .

(قوله تَعْلَمُوا الْعِلْمَ) أى حدوا فى أسباب المعرفة للعلوم النافعة من العلوم الشرعية والآنها ، وقوله الوقار أى المهابة فلا يفعل ما يحل بالمروءة فضلاً عن العدالة ، فالعالم الذى يوحد العلم من كلامه وشربه ومبسه ودينه ، ومعنى أحد العلم من الدابة أن لا يحتملها ما لا تطيق ، وأن لا يجيعها وهكذا ، وفى على ذلك .

(قوله يَمَنْ تَعْلَمُونَ مِنْهُ) ولذا كان إمامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه لا يقلب الورق بحصرة سيدنا مالك خوفاً من سماعه قرعته أدباً معه ، وكان يفتحر بمشيخة سيدنا مالك وهو يفتخر بتلميذته وكان الريح الجبرى لا يشرب الماء محصرة إماماً خوفاً من سماعه صوته ديباً معه ، وكان بعض العلماء لا تسأله نلامدته إلا بعد قوطم له أتأدر لنا فى السؤال عن كذا ؟ وقد أخذ ابن عباس رضى الله عنهما بركاب سيدنا زيد لكونه شيخه .

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِذَا حَبَّرَ حَبَّرًا وَإِنْ شَرَّأَ فَشَرًّا » . (الصبرانى فى الأوسط وغيره) : عن واثلة .

(قوله عند ظنّ عهدي إلح) يحتمل أن المراد بالظن حقيقته أى الطرف الراجح ، أى إذا ترجح عنده أنى أعمر له إذا استعمر ، وأتوب عليه إذا تاب ، وأرزقه إذا طلب الرزق ، وأعافيه إذا طلب الصحة إلح

وإذا ترجح عنده أنى لا أعفر له إلح كان كذلك وهو معنى إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

ويحتمل أن المراد بالظن العم واليقين ، ويكون إشارة إلى التوحيد الحاصل ، أى إذا علم عهدي وتيقن أنى متصف بالغفران والإعطاء إلح أعصيته ذلك بخلاف ما إذا كان عنده ريبة فى اتصافى بذلك فلا يبالى ما طلبه ، وفى هذا الحديث إشارة إلى طلب الرجاء ، ولذا قال بعض الأمراء لبعض العلماء ما تقول فى ماله وفى إنفاقه له فى الخير ، فسكت الشيخ متأملاً فى جواب مناسب ثم أجاب بقوله : أصبح الأمير عالماً بأن من اكتسب ماله من حلال وأنفقه فى الخير كان موفقاً سعيداً .

فقال الأمير أنا أحسن ظناً بالله منكم . فأنت تعنى أنى اكتسب من الشبه ، وإنما سترت العبارة عني . فقال الشيخ أسألك بالله أتعم أن رسول الله ﷺ أحسن ظناً بالله من جميع خلقه قال نعم . فقال هل كان يكتسب من الشبهات فقال لا .

فقال يسعى لك أن تكون عني ما كان عليه رسول الله ﷺ ، فهذا من الشيخ لطيف وهو شأن من اجتمع بالأمراء فيبغى له الملاطفة معهم .



وموقف شيخنا من الصحابة هو موقف أهل السنة على وجه العموم ولقد شرحه بمناسبة الأحاديث التالية :

« أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ سَيِّدَا كَهُولِ أَهْلِ الْحِجَّةِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّسِيبَيْنِ وَالْمُرْسَلَيْنِ » (الإمام أحمد وغيره) عن علي عن أبي جحيفة .

« أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ مَيِّ بِمَنْزِلَةِ السَّمْعِ وَالنَّصَرِ مِنَ الرَّأْسِ » (ع) عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أبيه عن جده قال ابن عبد البر وماله غيره (حل) عن ابن عباس (خط) عن جابر .

« أَبُو بَكْرٍ خَيْرُ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيِّ » (طب عد) عن سلمة بن الأكوع .

« أَبُو بَكْرٍ صَاحِبِي وَمُونِسِي فِي الْغَارِ سَدُّوا كُلَّ حُوْحَةٍ فِي الْمُسْتَحْدِ عَيْرِ حُوْحَةٍ أَبِي بَكْرٍ » (عم) عن ابن عباس

« أَبُو بَكْرٍ مَيِّ وَأَنَا مِنْهُ ، أَبُو بَكْرٍ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (مر) عن عائشة

« أَبُو بَكْرٍ فِي الْحِجَّةِ ، وَعُمَرُ فِي الْحِجَّةِ ، وَعُثْمَانُ فِي الْحِجَّةِ وَعَلِيٌّ فِي الْحِجَّةِ ، وَطَلْحَةُ فِي الْحِجَّةِ ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْحِجَّةِ ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْحِجَّةِ ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْحِجَّةِ ، وَسَعِيدُ بْنُ رَيْدٍ فِي الْحِجَّةِ ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْحَرَّاحِ فِي الْحِجَّةِ » ، (الإمام أحمد وغيره) عن سعيد بن ريد ، (الترمذي) عن عبد الرحمن بن عوف ص ١٧ ويشرح الشيخ ذلك فيقول قوله (كهول) . الأحسن أن المراد بالكهول الشجعان ، الكرماء لا حقيقتهم باعتبار وقت الموت كما قال الشارح لأن ذلك يُبلغ في المدح (قوله بمنزلة السمع العج) .

أى ألتفع بهما كفعى بالسمع إلخ ، أو أحبهما كما أحب سمعى  
الح . ولا يقال إنه عليه السلام يتفع جميع الناس به ولا ينعى أن يقال  
يتفع هو بالناس ، لأننا نقول هذا قوله عليه السلام بياناً لفصلهما ، ولم  
تقله الأمة حتى يعترض بذلك (قوله لمطب) بصيغة الماعل : عزيزى  
وقوله : أبو بكر كان اسمه عبد الكعبة ، فسماه عليه السلام عبد الله ،  
وهو له صحة ، وكذا لأبويه وولده وولد ولده صحة ولم يجتمع  
هذا لأحد من الصحابة ، وروى مائة وأثنى وأربعين حديثاً ، له  
فى الصحيحين ثمانية عشرة ، انفرد البخارى بأحد عشر ، ومسلم  
بواحد (قوله : إلا أن يكون) أى وجد سى وهى تامة (قوله  
غير خوحة) بالنصب صفة بكل وفيه إشارة إلى أن أبا بكر يكون  
حليفة بعده عليه السلام فيحتاج للمسجد (قوله أبو بكر فى الجنة إلخ) لم  
يجمع من المشيرين بالجنة فى عدة إلا العشرة المذكورين فلا يافى  
أنه بشر غيرهم كالحسين وأمهما وجدتهما حديجة رضى الله تعالى  
عنه . ومعنى الإشارة بذلك عدم دخولهم النار ، فلا يافى أنه  
يمكن هم حصون مشقة الحساب والموقف ، فلذا كانوا على شدة  
خوف ، على أنه يمكن أن خوفهم لظهم أن هذه الإشارة معلقة  
على وجود أمر منهم ولم يوجد ، وإنما ذكر لفظ فى الجنة بعد  
كل مع أنه يكفى ذكرها احراً فيقول أبو بكر وعمر إلخ فى الجنة  
لأن المقام مقام إطباق لأنه نرد على الراعين أن بعضهم من أهل  
النار ، ووقاص بالتشديد .

وعن سيدنا على يشرح الحديث التالى

« على عية علمى » (عبد) عن ابن عباس .

(قوله غيبة علمي) أى وعاء علمي الحافظ له فإنه مدينة العلم ، ولذا كانت الصحابة تحتاج إليه في فك المشكلات ، ولذا كان يسأله سيدنا معاوية في رمن الواقعة عن المشكلات فيجيبه ، فنقول له جماعته : مالك تجيب عدونا ، فيقول : أم يكفيكم أنه يحتاج إليا ، ووقع له فك مشكلات مع سيدنا عمر ، فقال : ما أبقاني الله إلى أن أدرك قوماً ليس فيهم أبو الحسن ، أو كما قال فقد طلب أن لا يعيش بعده ، وقد حصل ، وجاء رجل لسيدنا عمر وهو يظرف وقال له :

حد لي حقي من عليّ فقد لطمى بظمة ، فلما سأله سيدنا عمر عن لطمه ، قال : نعم لطمته لكونه يتطلع إلى النساء ، فقال لقد أحسنت يا أبا الحسن .

وقد أمر سيدنا عمر برجم رانية فمر عليها سيدنا علي في أثناء الرجم فخلصها ، فلما أخبر سيدنا عمر بذلك قال إنه لا يفعل ذلك إلا عن شيء ، فلما سأله قال : إنها مبتلاة ببي فلان ، أى مصابة بالجنون ، فلعل وقت رباها كانت مجنونة ، أى والشبهة يسقط الحد ، وقد قال ﷺ :

« رَفَعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ ، عَنْ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ وَعَنْ السَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنْ الْمَجْنُونِ حَتَّى يَبْرَأَ » فقد سيدنا عمر . بولا على هلك عمر .

وعن الصحابة على وجه العموم يشرح الحديث التالي :

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي حَيْرًا أَلْقَى حَبًّا أَصْحَابِي فِي قَلْبِهِ » (١) .

(قوله حب أصحابي في قلبه) أى جميع أصحابي لا فرق بين من عاشره عليه السلام ، وبين غيره ، لأنه إذا اجتمع شخص به عليه السلام لحظة حصل له نور في قلبه بسببه يتصف بالعدالة ، وإن حصل منه هفوة تاب لورقه .

وقول الماوردى : إن الحث على المحبة العظيمة إنما هي فيمن عاشره عليه السلام ، أما من اجتمع به خطبة فقط فهو وإن طلست محبته لكنها لم يثبت عليها لعدم اتصافه بالعدالة بمحرد اجتماع اللحظة مردود » (٢) .

« إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ عَذَابًا أَصَابَ الْعَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ ثُمَّ يَعْثُوا عَلَى أَعْمَالِهِمْ » (٣) .

« قوله من كان فيهم » أى من استحق منهم من فعل المعصية أو رضى بها أو لم يرص لكن قدر على إزالتها ، ولم يفعل ، وظاهر هذا الحديث أن البلاء لا ينزل على الطائعين منهم وهو يحالف قوله : ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ حَاصَّةً ﴾

ويجمع بأن الحديث محمول على ما إذا لم تغض المعاصي وتعم . والآية محمولة على ما لو فشئت ، فإن البلاء حيثئذ يعم الطائعين

---

(١) الثسائى عن أنس رضى الله عنه

(٢) الحاشية ص ٦٠

(٣) البخارى ومسلم عن ابن عمر

وعيرهم لكنه نقمة للمعاصي ، أو تطهير لهم ، وثراب لطائفين ،  
يدل على هذا الجمع حديث :

« أَتُهْلِكُ فِيهَا لِصَالِحُونَ ؟ قَالَ . نَعَمْ إِنْ كَثُرَ الْحَيْثُ » .

أى إن فشت المعاصي وكثرت فيهلك الجميع من صالح وغيره .  
قوله « عى أعمامهم » أى لعقاب عليها فعذاب الدنيا لكونه نقمة  
لا يدفع عذاب الآخرة ، أى لم يعف عنهم <sup>(١)</sup>

عن ابن عمر « اسْتَقِيمُوا وَلَوْ تَخْصُّوا وَعَلِّمُوا أَنْ خَيْرَ أَعْمَالِكُمُ  
الصَّلَاةُ . وَلَا يُحَافِظُ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ » الإمام أحمد وغيره  
عن ثوبان وعن ابن عمر وعن سمة بن الأكوع .

(قوله واعلموا إلخ) أشار إلى أن من لم يقدر على أنواع الاستقامة  
فليحرص على أقوى أسباب الاستقامة وهو الصلاة والوضوء ، وأطلق  
الوضوء ليشمل الطهارة الحسية والمعنوية .

قال النعماني حاتمة قال السهيلي رأيت النبي ﷺ فى المنام فقلت  
له . روى عنك يارسول الله أنك قلت شيئى هوذا فى الذى شيك  
مها ؟ شيك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم ؟

فقال لا ، ولكن إنما شئسى قوله تعالى ﴿ فَاسْتَقِمُّ كَمَا أُمِرْتُ ﴾ <sup>(٢)</sup>

إذ قوله « كما أمرت » يدل على أن الاستقامة تكون بحسب المعرفة ،  
فمن كملت معرفته بربه عظم عبده أمره وبهيه إداد سمع كما أمرت

(١) الخشب ص ٦١

(٢) هود ١١٢

علم أنه طوب باستقامة تليق بمعرفته بكمال الأمر ، وحقيق لمن  
 فهم ذلك أن يشيب إذ لا يصيق أحد أن يأتي بعبادة على حسب  
 ما يعرف من عظمة ربه ، بل لابد أن يستصغر جميع ما يأتي به  
 وإن كان كاملاً بالإضافة إلى عظمته ولذلك لما نزل ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾  
 حقُّ تَقَاتِهِ ﴿١﴾ قلقت الصحابة خوفاً من كونهم لا يقدرُونَ على  
 القيام بمعنى ذلك فأمر الله رحمة لهم : ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ﴿٢﴾

انتهى بحروفه بخط الشيخ عبد الله الأجهوري .  
 « إن فيك لحصلتين يحبهما الله تعالى : الحِجْمُ والأُتَاة » : (الإمام  
 مسلم والإمام الترمذي) عن ابن عباس ، (قوله إن فيك) خطاب  
 للأشج : لأنه ﷺ كان جالسا مع عمر وبعض الصحابة ، فقال ﷺ :  
 سيقدم عليكم رك من خير خلق الله تعالى ، فقام سيدنا عمر وبادر  
 إلى نقائهم ، فقال لهم . من أنتم ؟ فأجبروه ، فقال قد أثني عليكم  
 رسول الله ﷺ ومسلم وذكركم بخير ، فلما قدموا بادرُوا إلى مقابلته  
 ﷺ بثياب السمر إلا الأشج ، فتأني إلى أن لس أحسن الثياب ،  
 وتنظف لأن شأن الدخول على الملوك أن يكون على حسن الأحوال ،  
 فلما قدم ﷺ وجلس يتحدث فأمر المصطفى النظر لوجهه بكونه  
 غير جميل ، فهم ، فقال له : يا رسول الله إنما يراد من الرجل الأوفى  
 عقله ولسانه ، وأما الجمال فهو للنساء ، فقال له ﷺ أريد مبايعتك  
 وقومك على الإسلام وبصر الحق ، فقال له أعلم أن اعتساءك بالدين ،  
 أنا أنا ومن معي فمبايعتك على ذلك ، وأما قومي فتعلمهم بذلك فإن

(١) آل عمران ١٠٢

(٢) التوبة : ١٦

«جاءوا فداك وإلا قاتلتهم» ، فقال له ﷺ : صدقت ، فعلم ودارة عقده من كلامه ، والأناة من تأنيه في القدوم عليه ﷺ فذكر له الحديث ، فقال : هاتان الصفتان خلقت بهما أم اكتسبتهما يا رسول الله ؟ فقال : بل خلقت بهما . فقال الحمد لله الذي جعل في صفتين يحبهما هو ورسوله .

(قوله الحزم) أى العقل ويشأ عنه العمو وغيره من الحصول الحميدة  
« إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَخْشَعُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ مَا يُسَخِّطُ  
الرَّبَّ وَاللَّهُ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمْخْرُوتُونَ » (ابن سعد عن محمود بن  
لبيد) .

(قوله وَيَخْشَعُ الْقَلْبُ) أى يخضع ويذل إظهاراً لصفة الشفقة والرأفة ، والحاصل أن أهل الله تعالى قسمان : قسم تظهر عليه صفة العبودية ، فيرضى بالقضاء ، ويظهر البشر عند المصيبة ، وقسم تظهر عليه صفة الشفقة والرحمة ، فتدمع عينه ، ويخشع قلبه حينئذ ، ولذا روى بعضهم يصحك عند المصيبة ، فقليل له . لم ؟ فقال : حفت أن تغلب على صفة الرحمة فأظهرت صفة العبودية ، ولما كان ﷺ فيه الصفتان ، وهو آمن من غلبة إحداها على الأخرى ، أظهر كلا منهما ، فأشار إلى إظهار صفة العبودية بقوله ولا نقول ما يسخط الرب ، وأظهر الثانية بدمع العين .

« حُسْنُ الْمَلَائِكَةِ يُعْنَى ، وَسُوءُ الْخَلْقِ شُؤْمٌ ، وَطَاعَةُ الْمَرْأَةِ نَدَامَةٌ  
وَالصُّدُقَةُ تَدْفَعُ انْقِصَاءَ السُّوءِ » (ابن عساكر عن جابر) .

(قوله ندامة) أى لنقص عقلهن ودينهن فلا ينبغي لشخص أن يفعل ما أشارت به عليه امرأة حيث لم يعلم أنه خير

(قوله تدفع القضاء) أى تمنع البلاء ولذا احتطب شخص ففك حطبه فإذا فيه أفعى ، ففيل له . ماذا صنعت حتى دعاك الله منها ؟  
مقال : تصدقت بكسرة ، والمراد بمنع البلاء بأن ترفعه إن كان معلقاً ، وتخلفه إن كان مبرماً ، وحكى أن بعض السلاطين أمر بشخص ليقتله ، فجاء به وقد تصدق فى طريقه بنصف رغيف ، وقال :  
إنه عليه السلام قال : اتقوا النار ولو بشق تمره . وبار السلطان أخف من نار جهنم ، فهذا يرفعها بالأولى ، فلما قدم عليه والناس مجتمعون أمره بالانصراف ، فسأله بعض أعوان السلطان ماذا صنع نجا ، فأخبره بما وقع ، وقال : إن نصف الرغيف أكبر من نصف التمرة ، ونار السلطان أخف من نار جهنم . وهكذا شأن المحلصين

« إذا قضى أحدكم لصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيباً من صلاته فإن الله تعالى جاعلٌ في بيته من صلاته خيراً » .

رواه الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما (حم م هـ) عن جابر وعن أنس .

(قوله فليجعل لبيته الح) أى فالأفضل صلاة النفل فى البيت إلا ما استثنى ، قال العلقمى : فيجعل الفرض فى المسجد وانافة فى البيت : الحديث « أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة » وإنما حث على انافة فى البيت لكونه أخفى وأبعد عن الرياء وأصون من المحبطات ، وترك أهل البيت بذلك ، وترك فيه الرحمة والملائكة ،



وتنهر الشياطين ، قست إلا ما استثنى من الوفل كسنة الجمعة القبلية ،  
وركعتي الإحرام والطواف ، وصلاة الصبح ، والاستخارة ، وصلاة  
مشئ السمر ، والقادم منه ، والمكث في المسجد لتعلم أو تعليم ،  
أو اعتكاف ، والخائف فوت الرتبة ١ . هـ

« إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَحَاوَرَ لَأُمْتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تُكَلِّمْ  
بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ » (ق ٤) عن أبي هريرة (ط) عن عمران بن  
حصين .

(قوله أنفسها) بالرفع وهو ظاهر وبالنصب على التحريد بأن مجرد  
شخصاً من نفسه ويحدثها ، والحاصل أن المراتب خمسة : هاجس ،  
وحاطر ، وحديث نفس ، وهم ، وعزم ، فالشيء إذا وقع في القلب  
ابتداء ولم يجل في النفس سمي هاجساً ، فإذا كان موافقاً ودفعه من  
أول الأمر لم يحتج إلى المراتب التي بعده ، فإذا حان أي تردد في نفسه  
بعد وقوعه ابتداءً ولم يتحدث بفعل ولا عدمه . سمي حاطراً . فإذا  
حدثته نفسه بأن يفعل أو لا يفعل على حد سواء من غير ترجيح  
لأحدهما على الآخر سمي حديث نفس ، وهذه الثلاثة لاعتقاب عليها  
إن كانت في الشر ولا ثواب عليها إن كانت في الخير ، فإذا فعل  
ذلك عوقب أو أثيب على الفعل ، لا على الهاجس والحاطر وحديث  
النفس ، فإذا حدثته نفسه بالفعل وعدمه مع ترجيح الفعل لكن ليس  
ترجيحاً قوياً بل هو مرجوح كالوهم سمي هماً ، فهذا يثاب عليه إن  
كان في الخير ولا يعاقب عليه إن كان في الشر ، فإذا قوى ترجح  
الفعل حتى صار جارماً مصمماً بحيث لا يقدر على الترك سمي عزمًا  
فهذا يثاب عليه إن كان في الخير ويعاقب عليه إن كان في الشر .

« إِذَا شَهِدْتَ إِحْدَاكُمُ الْعِشَاءَ فَلَا تَمْسُ طَيِّبًا » رواه الإمام أحمد والإمام مسلم وغيرهما عن ربيب الثقفية .

(قوله فلا تمس طيباً) أى لأن ذلك يورث الفتنة : لأن التطيب يهيج الشهوة .

ومثل العشاء وضربها .

وكذلك الخروج ولو لغير صلاة .

وإنما قيد بالعشاء لأن تطيب النساء لا يكون إلا ليلاً

وقوله إذا شهدت أى أردت حضورها مع الجماعة وعارة العقمى قال النووى معاه إذا أرادت شهودها ، أما من شهدت ثم عادت إلى بيتها فلا تمنع من التطيب بعد ذلك . هـ .

« إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيَعِمْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ » رواه الإمام أحمد وغيره عن المقداد بن معد يكرب وعن أنس .

(قوله أحاه) أى فى الإسلام فليعممه ندباً مؤكداً ، بأن يقول : له إني أحبك . ويسعى الحواب بأن يقول له : أحبك الله كما أحببتى الله تعالى ، ومحل ذلك إن كان يحبه الله تعالى كأن كان . لعلمه أو صلاحه ، فإن كان لأجل إعطاء مال ونحوه فلا يطلب أخباره بأنه يحبه لأن ذلك يرول بقطع ذلك ، والمراد بالأح لشخصى ذكر أو أنثى ، ومحلّه إذا كان ذكراً مع ذكر ، وأنثى مع أنثى ، أو ذكر مع أنثى محرم أو زوجة ، فإن كانت أجنبية وأحبها الله تعالى كصلاحها فلا ينمى إعلامها لما فيه من لريبة ، قال العزلى إنما أمر الرجل بإعلامه بحبه لأن يوجب ريادة الحب فإن الرجل إذا

عرف أن أحاه يحبه أحبه بالطبع لا محالة ، ثم إذا عرف أيضًا أنه يحبه ارداد حبه لا محالة ، فلا يزال الحب يترايد بين المحبين ، وذلك مطلوب بالشرع انتهى بحط الأجهوري ، ص ٥٧ .

« إذا أصاب أحدكم مصيبة فليذكر مصيبتك بي فإنها من أعظم المصائب » عن ابن عباس .

(قوله من أعظم) لا ينافي هذا أنها أعظم على الإطلاق لأن كون الشيء من أعظم الأمور لا ينافي أنه أعظمها على الإطلاق ، فقد ورد أنه ﷺ كان من أحسن الناس وجهًا أو خلقًا ، ولا شك أنه أحسنهم على الإطلاق ، وإنما كان ذلك أعظم المصائب لأنه ترتب عليه انقطاع لرحي الذي هو رحمه ، ونقص الأنوار التي في قلوب الصحابة بسبب طلعه ﷺ : ولذا قال أنس ما نفصا أيديا من التراب من دفعه حتى أنكرنا قلوبنا ، أي لم نجد فيها من النور ما كان النور قبل موته ﷺ ولا ينافي كون موته ﷺ أعظم المصائب بسبب انقطاع الحير المذكور ما يأتي أن موته ﷺ قبل أمته خير لهم لأن الجهة محتملة : إذ كون موته ﷺ يترتب عليه انقطاع الحير المذكور لا ينافي أنه يحلله خير غيره وهو نهى مراتب لأمة ، والاستغفار لهم إذا عرضت عليهم سيئاتهم ، فموته ﷺ قبل أمته خير بهذا الاعتبار

وكتب العلقمي على قوله من أعظم المصائب أي أعظم من كل مصيبة يضربها المسلم بعده إلى يوم القيامة ، انقطع بموته ﷺ الوحي ، وماتت النبوة ، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك ، وكان أول انقطاع الحير وأول نقصانه ١ هـ ص ٦٧

« إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الآخرة » رواه الإمام أحمد وغيره عن أبي هريرة

(قوله ثم إذا قام فليسلم) ويجب عليهم الرد ، أى لأن السلام الأول معناه أمنتكم من شئ حال حضوري ، فیس السلام عند الانصراف ليؤمنهم من شره حال عينته بل أولى ، ويؤخذ من هذا التعليل أنه لو جاء وسلم عليهم ووقف خطة ثم أراد أن ينصرف من غير أن يجلس سن له السلام قبل الانصراف وهو كذلك وإجماع المسلمين أن ابتداء السلام سنة وأن رده فرض ، وأقله السلام عليك ، والأفضل السلام عليكم ، وأكمل منه أن يريد ورحمة الله وبركاته ، ولو قال سلام عليكم أجزأه ويشترط إسماع له برفع الصوت به بحيث يسمع كل مهما واتصال الرد بالابتداء كاتصال الإيجاب بالقبول في العنود ، والإلزام ترك جواب الرد ، فإن كان هاك يام حفص صوته بحيث لا يتقطون انتهت علقمى .

وقوله وأقله السلام عليك قال العزیزی لعل مراده إذا سلم على واحد ولا يكفى رد صبي مع وجود مكلف ، والفرق به بين الصلاة على الميت حيث يكفى صلاة الصبي مع وجود الرجال ، أن القصد بالصلاة على الميت الدعاء ودعاء الصبي أقرب إلى الإجابة ، والقصد بالسلام الأمان والصبي ليس أهلاً له ، وفي الحديث دلالة على أنه يسلم قبل أن يجلس وقياسه أن يسلم قبل أن يقوم .

قلت وفي رواية أبي داود فإذا أراد أن يقوم فليسم وهي صريحة  
في ذلك فتحمل هذه عليها انتهى بحروفيه : ص ٧٤

« إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فَتُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَتُغْلَقُ أَبْوَابُ  
جَهَنَّمَ وَتُسَبِّحُ الشَّيَاطِينُ » رواه إمام أحمد وغيره عن أبي هريرة

(قوله فتحت أبواب الجنة) كناية عن هبوط عيث الرحمة وتوالي  
صعود الصاعدة بلا مانع ، وكذلك تغلق أبواب جهنم كناية عن  
تنزه أنفس الصوام عن رجس الآثم ، ورمضان مأخوذ من الرمضة  
وهو الحر لأنه تحرق فيه الذنوب وتزول عن صائمه .

(قوله وسبحت) أي علت حقيقة ، أو أنه كناية عن عدم تجرئهم  
على الصائمين ، فالمراد بالسلسلة لازمة ، وأما ما يقع في رمضان  
من الوسوسة فهو من النفس ، ومن الرئيس من الشياطين لأنه  
مطلق ، وقال الشارح سلسل أي قيدت وشدت بالأعلاق كيلا  
توسوس للصائم ، وآية ذلك إمساك أكثر الصائمين في الطغيان عن  
الذنوب ، وعبرة العزيرى . وسبحت الشياطين ، أي قيدت وشدت  
بالأعلاق لئلا توسوس للصائم ، وآية ذلك أي علامته إمساك أكثر  
المهمكين في انطباع عن الذنوب فيه ، وفي نسخة شرح عليها  
العقبي صعدت بدل سبحت بإصا المهيمة المصنوعة بعدها فاء  
ثقيلة مكسورة أي شددت بالأصفا وهي الأعلاق .

قال شيخنا قال القاضي يحتمل أنه يحمل على ظاهره حقيقة  
ويحتمل المحار ويكون إشارة إلى كثرة الثواب والعو ، وأن الشياطين  
يقل إغراؤهم وإيدائهم فيصيرون كالمقيد قال ويحتمل أن يكون

فتح أبواب الحجة عبارة عما يمتحه الله لعباده من الطاعات في هذا الشهر مما لا يقع في غيره عموماً كالصيام والقيام وفعل الخيرات والانكفاف عن كثير من المخالفات ، وهذه أسباب لدخول الحجة وكذلك تغلق أبواب النار .

وقال القرطبي يصح حمده على الحقيقة . ويكون معاه أن الحجة قد فتحت ورحفت لمن مات في رمضان لفصل هذه العبادة الواقعة فيه وعلقت عنهم أبواب النار فلا يدخلها منهم أحد مات فيه ، وصفدت الشياطين لكلا تفسد على الصائمين فإن قيل قد يرى الشرور والمعاصي تقع في رمضان كثيراً فلو كانت الشياطين مُصَفَّدة ما وقع شر ، فالجواب من أوجه :

أحدها . إنما تغل عن الصائمين إذا حوفظ على شروطه ، وروعت آدابه أما إذا لم يحافظ عليها فلا يغل عن فاعله الشيطان .

الثاني : لو سلم أنها مصفدة عن كل صائم فلا يلزم أن لا يقع شر لأن لوقوعه أسباباً أخر غير الشياطين ، وهي النفوس الخبيثة والعادات القبيحة والشياعين الأنسية .

والثالث : أن المراد غالب الشياطين والمردة منهم ، وأما غيرهم فقد لا يصفدون ؛ والمراد تقليل الشرور ، وذلك موجود في رمضان ، فإن وقوع الشرور والعواش فيه قليل بالنسبة إلى غيره من الشهور

أما عن آل البيت فيقول الشيخ :

وامراد بآل البيت كل تقى لا خصوص الأشراف لحديث : « آل بيت كل تقى » .

## الكرامات

وبعد : فإن كرامات الشيخ كثيرة ، مشهورة ، ذكر بعضها الجبرتي وجمعها الشيخ حسن شمه في كتابه الكبير الذي لم يطبع وذكر بعضها في مختصره .

وأما صاحب كتاب « كرامات الأولياء » فإنه ذكر منها مقداراً مستميصاً ، ومن هذه الكرامات ما ذكره الشيخ حسن بقوله :

« وأخبرني أستاذي نفسه رضي الله عنه ، أنه متى نام على جوع غالباً يرى في نومه موائد قدمت بين يديه فيأكل وينسط ، ثم يستيقظ فيجد أثر ذلك الأكل والشبع ، قلت لا يخفى أن هذا من الأطوار الحمدية المشار إليه بقوله عليه السلام « إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني » .

ومن كراماته : أن ظالماً من حكام مصر بلغه أن عند بعض جماعة الشيخ خاتماً فصّة ثمين جداً فأرسل إليه يطلبه ، فما وسعه إلا إرساله إليه خروفاً منه ، لكن قال للرسول المرسل به : مر على حضرة أستاذنا احمتاوى وقل له :

إن فلاناً أرسلني إلى تابعتك فلان في شأن خاتم عزيز عليه ، وما هو قد أرسل به إليه ، فمر به الرسول ، وكان جالساً على المائدة مقام وامترح بجلال وصار يقول :

ما كان يحتاج يا فلان ويسمى ذلك الظالم ظلم فلان ، يكرر ذلك ثم قال .

فطلب من أهل الله أن يضيقوا عليه مصر ضيق الخاتم ، فما لبث ذلك الظالم إلا قليلاً حتى أحلح من مصر ، وضائق عليه حتى لم يجد له من سبيل إلى أحد فيها ، فما وسعه إلا الهروب ، فتولى الفرار وناله في العصاء والقفار .

ومنها أن أحد مريديه تذاكر مع آخر الدنيا ومن الكيمياء الذي يحول المعادن إلى ذهب ، يقول : « وتواعدنا بالاشتغال بذلك ، ثم جئنا إلى الشيخ وجلسنا عنده ، فذكر الكيمياء والدنيا ، وقال : إن هي إلا هوسان وحزعلات ، ثم أنشد .

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها تريد أم الدين وما في زواياها  
لقال غبار من تراب نعالها أحب إلى قلبي وأشهى ببلواها  
والشيخ في هذا الشعر يقول طما :

إن المحب الصادق هو الذي يكون قلبه معلقاً بالله تعالى لا بغيره



## وفاته

وأما بعد : فقد توفي الشيخ رضى الله عنه ، يوم السبت السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ١١٨١ هـ ، وقد بلغ اثمانين من حياته المباركة ، توفاه الله بعد جهاد طويل فى سببه ، لم يقصر فيه ولم يفتر

ودفن يوم لأحد بقرافة المحاورين بالقاهرة

يقول الشيخ حسن شمه :

« وضريحه مشهور ، بربارته تضاعف الأحرار ، رضى الله عنه ، وضعنا به فى الدارين » ثم أما بعد . فيقول الله تعالى .

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ، لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾<sup>(١)</sup>

القاهرة فى ١٩ ذى الحجة سنة ١٣٩٦ هـ

القاهرة فى ١٠ ديسمبر سنة ١٩٧٦ هـ

---

(١) يوس : ٦٢ - ٦٤

## خاتمة

### التصوف الإسلامى وحياة أبى الأنوار رضى الله عنه

سئل الشبل رحمه الله .

لم سميت الصوفية بهذا الاسم ؟

فقار . ببقايا بقيت عليهم من عوسهم ، ولولا ذلك لما لاقت بهم الأسماء ولا تعلقت بهم ا

إن التصوف فى قمته العلي هو . ألا تبقى على الأسال بقية من نفسه ، أى : ألا تبقى عليه بقية من برعات ، و شهوات ، أو مطامع ، أو تطلعات إلى غير الحق والحيير

ومن معام ما يقوله الصوفية فى هذا الطريق .

إن السالك يأخذ فى إزالة الرذائل من نفسه شيئاً فشيئاً ، وتهاافت الرذائل واحدة بعد الأخرى ، ولكن رذيلة تظل معصمة بقوتها فى النفس ولا تزول بسهولة ، تلك هى رديئة . « حب الرياسة » ، وحيما تزول فإن السالك يصبح حالصاً لله تعالى ، فإنه وهو يجاهد فى إزالة الرذائل يجاهد فى الوقت نفسه فى التحلى بالفضائل .

وهذا الطريق - طريق محو الرذائل والتحلى بالمصائل حتى يصبح

حائِصًا لله تعالى يعبر عنه الجيد حيسا سئل عن تعريف التصوف فقال :

« التصوف أن يُميتَكَ الحقُّ عَنكَ وَيُخَيِّكَ بِهِ »

والحق هو الله تعالى ، يقول سبحانه :

﴿وَيَعْمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾<sup>(١)</sup>

و « يُميتَكَ عَنكَ » أى يمحو نفسك الأماراة ، يمحو كل ما فيك من نزعات الكبرياء ، بل يمحو مجرد الرعدة فى الإثم وأما « يخيك به » فإنه التحلق بأحلاق الله تعالى :

أحلاق الجمال !

إنه سبحانه فى صفاته الجمالية . السلام ، المؤمن ، الغفار ، العدل ، اللطيف ، الكريم ، الخليم ، الرؤوف الرحيم ..

فإذا أُماتَكَ لِحَقِّ عَنكَ ، وأُحيَاكَ بِهِ فقد أصبحت صوفيًا ، بما فى قمة لصوفية ! وإذا وصل الإنسان إلى هذه الحالة فإنه يكون قد ارتبط بالله تعالى برباط وثيق أو أصبح كما يقول رزيم بن أحمد حيسا سئل عن تعريف التصوف « التَّصَوُّفُ : الاسْتِرْسَالُ مَعَ اللَّهِ عَلَى مَا يُرِيدُهُ » .

وحيسا يسترسل الإنسان مع الله على ما يريد الله تعالى فإنه لا تكون له رعدة إلا فيما أمر الله تعالى به ، أو فيما أباحه ، ولا تكون له كراهية إلا فيما نهى الله تعالى عنه : نهى وجوب ، أو نهى

---

(١) النور ٢٥

كراهية ! وهذا المعنى هو الذى أرادَه أبو يَريد - رضى الله عنه -  
حيما قال معرفًا بالصوفى :

« لِلنَّاسِ أَحْوالٌ ، وَلَا حَالٌ لِلْعَارِفِ ، لَأَنَّهُ مُحِيتَ رُسُومُهُ ، وَفُيِّتَ  
هُوِيَّتُهُ بِهُوِيَّةٍ غَيْرِهِ ، وَغُيِّرَتِ آثَارُهُ بِآثَارِ غَيْرِهِ » !

والعارف هـى عرف أبى يَريد : هو الصوفى ، و« العير » الذى  
عنه أبو يَريد - هو الله سبحانه وتعالى ، وقل هـى المعنى : « أَمَاتَهُ  
الْحَقُّ عَنْهُ وَأُحْيَاهُ بِهِ » أو قل « تَخَلَّى بِإِخْلَاقِ اللَّهِ أَوْ قُلْ إِنَّهُ  
اسْتَجَابَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى :

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ، وَبِمَنْ تَابَ مَعَكَ ﴾<sup>(١)</sup> أو قل هـى المعنى :  
إِنَّهُ اسْتَرْسَلَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَرَادَهُ ، إِنْ كُلُّ ذَلِكَ يُمْكِنُ أَنْ  
يَكُونَ شَرْحًا لِمَا أَرَادَهُ أَبُو يَريد !

ويتناسق الإمام : « أبو يعقوب » مع كل هذه المعانى فيقول  
معرفًا بالتصوف :

« التَّصَوُّفُ حَالٌ تَضُمُّحِلٌ مَعَهَا مَعَالِمُ الْإِنْسَانِيَةِ » .

والمعنى لذلك : أَنْ تَكُونَ بَشَرِيَّةَ الْإِنْسَانِ - الَّتِى تَسِيطِرُ عَلَيْهِ ،  
فَتَكُونُ هِىَ الْقَائِدَةُ ، وَتَسْتَوْلِى عَلَيْهِ ، فَتَكُونُ هِىَ الْمَتَصَرِّفَةُ - تَضْعِفُ  
شَيْئًا فَشَيْئًا لِتَحِلَّ مَحَلَّهَا الرِّبَانِيَّةُ ، إِنَّهَا تَضُمُّحِلُ ! أُنَدْرِى مَا هِىَ الرِّبَانِيَّةُ !  
إِنْ اللَّهُ سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ مَبِينًا وَمَوْضِحًا .

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ، ثُمَّ يَقُولَ

(١) هود : ١١٢

لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّمَنْ دُونَ اللَّهِ ، وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعْمَلُونَ الْكِتَابَ ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ<sup>(١)</sup>

و « الربانيون » هي العرف الإسلامي - أعني العرف الصدوق كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما ، هم « الْفُقَهَاءُ الْمَعْلَمُونَ » .

ويقول قتادة « هُمُ الْفُقَهَاءُ أَنْعَمَاءُ الْحُكَمَاءِ » .

ويقول سيدنا علي كرم الله وجهه :

« هُمُ الَّذِينَ يُعَدُّونَ النَّاسَ بِأَحْكَمَةٍ ، وَيُرَبُّونَهُمْ عَلَيْهَا » وقد ذكر أسلافنا كثيرًا من الأقوال في معنى الربانيين ، منها أيضًا أنهم « الْعُلَمَاءُ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ » .

ومنها : « إِنَّهُمْ الَّذِينَ جَمَعُوا بَيْنَ عِلْمِ الْبَصِيرَةِ ، وَالْعِلْمِ بِسِيَاسَةِ النَّاسِ » .

ويقول سيويه :

« الربانيُّ : الْمُسَوَّبُ إِلَى رَبِّهِ ، بِمَعْنَى كَوْنِهِ عَالِمًا بِهِ ، وَمَوَاطِنًا عَلَى طَاعَتِهِ » .

وبما مات حبيب الأمة ابن عباس رضي الله عنه قال محمد بن الحنفية - رضي الله عنه - :

اليوم مات رباني هذه الأمة « ١

---

(١) آل عمران . ٧٩ .

وتفسير الرابى مهما تعدد واختلف ، فإن معناه لا يتعارض ، وربما ينسجم ويتناسق ، ولا ينفى بعضه بعضاً ، والقرآن الكريم يشير إلى معنى رابى حينما يقول : ﴿ إِنَّا كُنْتمُ تُعْمُونَ الْكِتَابَ ، وَبِمَا كُنْتمُ تَدْرُسُونَ ﴾ فالرأى : يعلم لكتاب ويدرسه ، ويعمل به ، فيصبح وثيق الصلة بالحو الروحى : جو الكتاب وادحى ، ومن أتاه الله الكتاب والحكم والنبوة لا يأمر الناس أن يتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً ، وهل يتأتى أن يأمر الناس بالكفر بعد أن يكونوا مسلمين ؟ ! هذه « اربانية » هى المقصودة من كل تعاريف التى ذكرناها فيما مر وهذه التعاريف تتناسق جميعاً لتؤدى فى الذهن معنى كلمة « إسلام » أو هى فى الحقيقة منبثقة من كلمة إسلام !

ما معنى كلمة « إسلام » ومن هو : « المسلم » .  
أما إذا بطرت إلى المعنى الدعوى فإن ابن الأبارى المتوفى سنة ٣٢٨ هـ يقول فى المعنى الدعوى للكلمة :

« المسلم معناه : المخلص فى عبادته ، من قلوبهم . سلم الشىء لفلان ، خلص له : فالإسلام معناه : إخلاص الدين والعقيدة لله تعالى » .

هذا هو المعنى لكلمة « مسلم » وهو المعنى الذى حاول فى خلاص أن يصل إلى تحقيقه كل الصوفية . وهذا المعنى متناسق تماماً مع المعنى الذى تحدث عنه الرسول ﷺ حينما سئل :

« ما هو الإسلام ؟ »

فكان « الإسلام أن يسلم لله قلبك ، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويديك »

وإسلام القلب هو : الاستسلام الكامل لله تعالى فيما أمر ، والاستسلام الكامل لله تعالى فيما نهى بتعجبه ، ومن هنا كان نتيجة طبيعية يبه عليها كعلامة لصديق إسلام القلب لله تعالى وهي :

أن يسلم المسلمون من لسان من أسلم قلبه لله ، ومن يده !  
والنتيجة الدقيقة لإسلام القلب لله تعالى - في سعتها وشمولها -  
تتمثل في قول الله تعالى لرسوله ﷺ :

﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي ، وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ،  
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾<sup>(١)</sup> .

وهذا انشعار إنما هو المنارة التي يسير نحوها كل مسلم ! وإذا  
كان الأمر لرسول الله ﷺ ، فإنه صلوات الله وسلامه عليه . الأسرة  
والقدوة لكل مسلم ، وكل مسلم إذن عليه أن يسعى في جد ليحصل  
صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له !

إنه لن يصل إلى تحقيق ذلك كاملاً كما تحقق به الرسول ﷺ ،  
ولكن عليه أن يسعى ، وأن يستمر في السعي ، ويحتهد في  
السعي !

---

(١) الأنعام ١٦٢ ، ١٦٣

وعن ذلك الأسلوب يقول الإمام الجليل في حديثه عن التصوف إنه « عنوة لأصلح فيها » .

أى أنه جهاد لا انقطاع له : جهاد فى سبيل الله ، جهاد لله ، جهاد يستمر ما استمرت الحياة .

وإسلام القلب لله تعالى ، والاسترسال مع الله تعالى على ما يريد الله تعالى :

هو التوحيد الصادق

والشلى حينما سئل عن التصوف قال :

« بدؤه معرفته ، ونهايته توحيد » .

والرئيس ابن سينا يتحدث عن جهاد الصوفى فى سبيله للقرب من الله سبحانه وتعالى ، ويحتم حديثه عن لجهاد بقوله عن غاية الصوفى من جهاده الذى لا صلح فيه :

« منته إلى الواحد » إن غاية الصوفى هى :

التحقق بالتوحيد ومن ها قول الصوفية فى تعبيراتهم الحميمة .  
« التوحيد واحد ، والطرق إلى الله كنفوس نبي آدم » .

التوحيد الذى هو الغاية واحد لا اختلاف فيه ولكن الطرق التى يسلكها يريدون تعدد وتختلف ، ولا بأس من تعددها واختلافها مادامت تنتهى جميعاً إلى « التوحيد » وللصوفية فى ذلك تمثيل دقيق التمثيل بالدائرة والمركز : دائرة تمتد من محيطها لخطوط ، هذه الخطوط حينما تبتدى من المحيط متباعدة قليلاً ، ولكنها تتقارب



كلما قربت من المركز حتى إذا ما وصلت إليه التقت وانحدت في  
نقطة المركز ، والمركز هو « التوحيد » والخطوط هي الطرق .  
ومن هذا كله نتبين أن :

التصوف هو : الإسلام في صورته المثلى ، وأنه مذهب واحد  
هو « التوحيد » .

وبيانا لهذا المذهب الواحد كانت حياة أبي الأنوار شيخ الإسلام :  
الحفنى ، كانت حياته سلوكاً بياناً لهذا المذهب ، وكانت حياته علماً  
بياناً لهذا المذهب .

ويمكن أن نقول : كانت حياته تعبيراً عن إسلام القلب لله رضى  
الله عنه ونفعنا به .

## فهرس الكتاب

الموضوع	الصفحة
العلاقة بين الصوفية والسلفية . . . . .	٥
أبو الأنوار شمس الدين الحفنى . . . . .	١٥
رسالة فى فضل الذكر والتسبيح والتهليل . . . . .	١١٤
الحفنى شيخاً للأزهر . . . . .	١٣٥
الكرامات . . . . .	١٨٤
وفاته . . . . .	١٨٦
خاتمة التصوف الإسلامى وحياة أبى الأنوار . . . . .	١٨٧

١٩٩٦/٥٥٨٩	رقم الإبداع
ISBN 977-02-5278-6	الترقيم الدولي

١ / ٩٣ / ٩٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.) ١٩٩٧ م



يُعَدُّ الإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحلیم محمود صاحب ورائد مدرسة الفكر الإسلامی والتصوف فی العصر الحديث ، ولقب بأبی التصوف فی العصر الراهن ، فقد أثرى المكتبة العربیة بأمہات الكتب بین تحقیق وتألیف وترجمة ، فمنها دراساته قیمة عن الإمام الغزالی وکتابه « المنقذ من الضلال » ، و « دلائل النبوة » ، و « القرآن فی شهر القرآن » إلى جانب ما کتبه عن رواد التصوف علی مر العصور الإسلامیة المختلفة .

والإمام الأكبر فضيلة الدكتور عبد الحلیم محمود له عمق وغزارة الآراء الفقهیة ودقة الاجتهادات مما جعله یکسب صفوف المعارضین قبل المؤیدین ، إلى جانب اللباقة والدرایة الکاملة فی عرض أى موضوع أو مسألة تتعلق بأمر الدین ، وأیضا یمتاز بقوة ورصانة الأسلوب والعبارات ، مما یدل علی المہارة الفائقة والملکة اللغویة فلہذا اکتسب هذا العالم الجلیل احترام کل الفرق والمذاهب الإسلامیة فی شتى بقاع العالم ، وسیقئ هذا العالم وتراثه فی قلوبنا علی مر العصور .

تفہیم الطلاب : محمد أبو طالب

طائر المہارہ

٠٣١٩٣٠/٠١

